فكر ابن الأكفاني التربوي

مع تحقيق مخطوطة

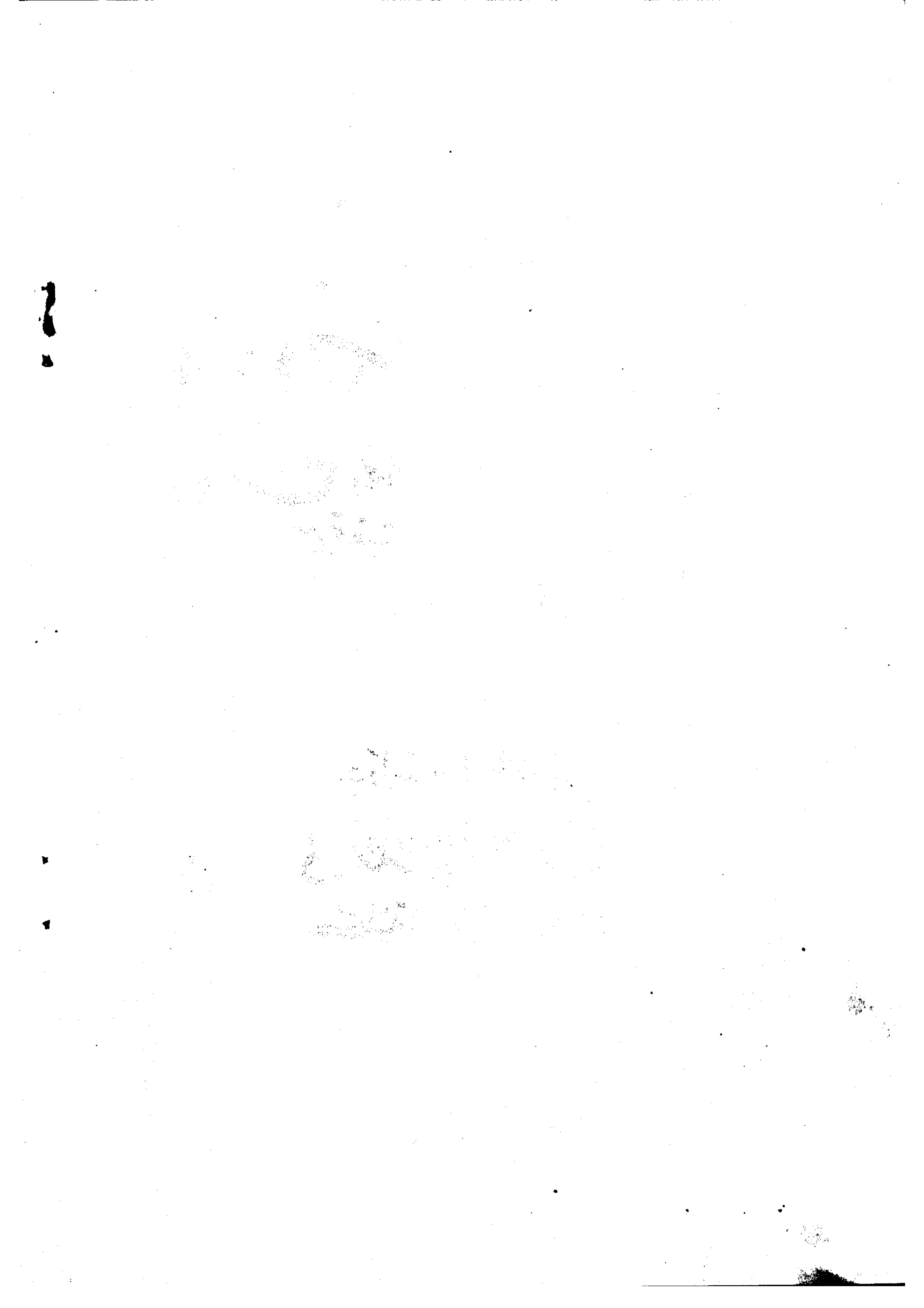
"إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد"

دراسة وتحقيق

د. مصطفى رجب

كلية التربية بسوهاج

يناير ١٩٨٩م



فهرست البحث

الموضوع	الصفحة

"بسم الله الرحمن الرحيم"

مقدمـــــه :

محمد بن ابراهيم بن ساعد المعروف بابن الاكفانى أحد علماء القرن الثامـــــن الهجرى ،أشادت به الكتب القليلة التى أرخت له ،ومع ذلك فأنه يعد من المغمورــن اذا ما قورن بغيره من مؤلفـى عصره . ترجم له ابن حجر العسقلانى فى الدرر الكامنـــة فى أعيان المائه الثامنه (٣/ ٢٧٩) ووردت ترجمته أيضا فى البدر الطالع (٢/ ٧٩) ، وبروكلمـان (٢/ ١٧١) وكشف الظنون لحاجى خليفه (ص٦٦) والاعلام للزركـــلى (٥/ ٢٩٩) .

يبدو من الترجمات القليلة التى تناولت شخصيته انه كان طبيبا مشهورا فى عصــره كما كان عالما بالرياضيات والفلسفة وكان شاعرا أيضـا .
ويقع كتابه المخطوط "ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد " فى اثنتين وستين ورقـــه . وتوجد منه عده نسخ بدار الكتب المصريه ،كما طبع بعناية المرحوم محمود أبو النصــر بمطبعة الموسوعـات بباب الشعرية بمصر سنه ١٩٠٠م فى ١٠٣ ورقة . غير أن هــــذه الطبعة لم تكن محققة .

يعد هذا المخطوط من المخطوطـات النادرة فى المكتبة العربية من حيث طبيعته فهو ذو طبيعة موسوعيه حيث ذكر فيه ابن الاكفانى انواع العلوم وأصنافها وأشهــــر المؤلفـات فى تلك العلوم التى بلغت عدتها نحو ستين علما أشار خلال الحديث عنها الى ما يقرب من أربعمائه مصنـف .

ولا تقف أهمية هذا المخطوط عند حد ذكر التصانيف المشهورة فى العلوم الـــتى تعرض لها المصنف . بل انه اضاف الى ذلك ذكره لاسماء اكثر الفرق الاسلامية والمسيحية واليهودية ومبادئ كل فرقه .

القيمة التربوية للمخطوط :

يبدأ هذا المخطوط بآراء خاصة لمصنفه فى أهمية العلم وشرف العلماء ، وأهـداف التعليم ، ثم يتحدث عن شروط التعليم والتعلم ويقسم العلوم من وجهة نظره الى عـــلوم حكمية ونظريه وعملية ثم يتطرق الى فروع كل نوع . كما يقدم وجهة نظر خاصة فى قوانـــين

الكتابه وقوانين القـراءة .

فاذا أضفنا الى ذلك أن لابن الاكفانى مخطوطا آخر اسمه "الدر النظـيم فى أحوال العلوم والتعليم" ظهر لنا الى أى حد يعد نتاج هذا الرجل وتعـدد مؤلفاته من تراثنـا التربوى المفقود الجدير بالعنايه به ، والبحث فيه.

ولعل القرن الثامن - عصر سلاطين المماليك البحرية من العصور المجهوله نسبيـا فى تاريخ التربية والتعليم فى مصر . الامر الذى يضيف الى هذا البحث جانبا آخـر من الاهمية.

منهج البحـث :

يستخدم الباحث المنهج التاريخى لانه أنسب المناهج لتناول الفكر التربـوى لابن الاكفانى . ذلك أن الوثائق التاريخية من المصادر الاولية التى يعتمد عليهـا منهج البحث التاريخى وهى تشمل "الكتب والكتابات التى تركها الاشخاص المـراد دراسة تاريخهم أو دراسة أفكارهم أو اسلوبهم ".(١)

خطـة البحث :

- مقدمـة
- وصف المخطوط
- الاوضاع الثقافية فى عصر ابن الاكفانى
- شخصيته ومصادر دراسته
- العوامل المؤثرة فى فكره التربوى
- أهم جوانب فكر ابن الاكفانى التربوى

---

(١) عمر الشيبانى ، مناهج البحث الاجتماعى ، (بيروت : دار الثقافه ، ١٩٧١) ، ص٩٧.

نسخ المخطوط :

كتاب "إرشاد القاصد الى أسنى المقاصد " لابن الاكفانى من الكتب التى يصعب تصنيفها تحت فن معين من الفنون . وتوجد من المخطوط عدة نسخ بدار الكتب بيانها كالاتى :

١ـ أقدم نسخة ٦٢ ورقة كتبت عام ٨٩٧ هـ .
مصنفة تحت فن المكتبات برقم ٢٦٦ .

٢ـ نسخة أخرى ٤٩ ورقة ـ برقم ٢٦٧ مكتبات .

٣ ـ نسخة أخرى ٦٨ ورقة كتبت عام ١٢٩٦ هـ مصنفة تحت رقم ٢٦٨ مكتبات .

٤ ـ نسخة أخرى ٦٤ ورقة كتبت عام ١١٠٧ هـ مصنفة تحت رقم ٨٠ معالم تيمور .

٥ـ نسخة أخرى كتبت عام ١١٥٤ هـ مصنفة عقائد تيمور .

٦ـ نسخة أخرى ١٣ ورقة كتبت عام ١١٧٩ هـ مصنفة تحت رقم ٣٦٩ مباحث اسلامية طلعت

٧ـ نسخة أخرى ١٠٩ ورقة مصنفة تحت رقم ٢٥٨ معارف عامة طلعت .

ويبدو أن تعدد الموضوعات التى تناولها ابن الاكفانى فى مؤلفة قد انعكس على فهرسة هذا المؤلف فأضيف مرة الى فن المكتبات لانه اهتم بذكر مصنفات سابقية . ومرة ضمن المباحث الاسلامية لاهتمامه بالفرق الكلامية ومرة ضمن المعارف العامة لصعوبة تحديد موضوعه .

وبالاضافة الى هذه النسخ المخطوطة توجد نسخة مطبوعة بمطبعة الموسوعات بباب الشعرية ـ القاهرة سنه ١٣١٨ هـ ـ ١٩٠٠م . بدون تحقيق .

وصف المخطوط :

النسخة التى اعتمدنا عليها فى التحقيق هى أقدم نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة . وقد رمزنا لها بالرمز (خ) وفيما يلى وصف لها :

** تقع هذه المخطوطة فى اثنتين وستين ورقة ،ومصورة على ميكرو فيلم رقم (٤٥٨٧٦) ،وقد أثبت ناسخها فى آخر صفحة بها انه انتهى من نسخها فى ٢ رمضان

سنه ٨٩٧ هـ بمكة المكرمه نقلا عن نسخة بخط المصنف (المؤلف نفسه) كتبها ابن الاكفانى فى ذى القعده ، سنة ٧٣٤ هـ أى قبل وفاته بنحو خمس عشرة سنه .
واسم ناسخ المخطوطة التى بين أيدينا احمد بن حسين العباسى وعليها خاتمان الاول مكتوب فيه (الكتبخانه السلطانية) وتعنى دار الكتب بالقاهرة ، والثانى مكتوب فيه (وقف هذا الكتاب السيد / احمد الحسينى بن السيد / أحمد بن السيد / يوسف الحسينى عام ١٣٢٢ هـ) . ويبدو ان السيد أحمد الحسينى هذا كان صاحب مكتبة خاصة تبرع بها لدار الكتب حيث أن تاريخ هذا الخاتم يشير الى ملكيته للمخطوط بعد نحو خمس سنوات من قيام السيد / محمود ابو النصر بطبع النسخة المطبوعة فى مطبعة الموسوعات .

والنسخة المطبوعة مأخوذه ـ كما يقول طابعها ـ عن نسخة محفوظة بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ولم يشر الطابع الى أصل تلك النسخة الموجوده فى فرنسا . غير أن الاختلافات التى لاحظناها أثناء التحقيق تثبت لنا أنها ليست هى النسخة التى بين أيدينا ، وقد رمزنا للنسخة المطبوعة برمز (ط) .

* تقع النسخة المخطوطة (خ) فى اثنتين وستين ورقة كل ورقة تتكون من صفحتين وخط الناسخ واضح ، ومقاس الصفحة الواحدة ١٣ × ١٩ سم . وكل سطر يتكون من عدد من الكلمات يتراوح ما بين ٨ ـ ١٢ كلمة تقريبا .

منهج التحقيق :

١ ـ الموازنة بين النسختين المطبوعة والمخطوطة . وعند الاختلاف يؤخذ بأقرب النسختين الى الصواب مع الاشارة فى الهامش الى الاختلاف ومحاولة تفسيره .

٢ ـ الاخذ عن المخطوط غالبا مالم يكن الخطأ الناجم عن الاختلاف لغويا .

٣ ـ توثيق الآيات والأحاديث الشريفة من مصادرها .

٤ ـ الترجمة للشخصيات التى يرد ذكرها فى المتن .

٥ ـ الاشارة الى الكتب التى يرد ذكرها فى المتن .

٦ ـ شرح العبارات الغامضة المعنى .

٧- الاعتماد على المصادر الاساسية.

هذا ،وقد اكتفى الباحث بتحقيق القسم الاول الخاص بالفكر التربوى محمد ابن الاكفانى ،لاتصاله بغرض هذا البحث الاساسى . والقسم الثانى الخاص بالكتب والفرق محقق بمعرفة الباحث وسينشر مستقلا عن هذا البحث.

الاوضاع الثقافية فى عصر ابن الاكفانى

الاوضاع السياسية :

خَلَفَ المماليكُ الايوبيين فى حكم مصر ، وقد امتد حكم المماليك من عام ٦٤٨ هـ الى ٩٢٢ هـ (١٢٥٠ ـ ١٥١٦م) وهناك اجماع بين المؤرخين على تقسيم الحقبة المملوكية من تاريخ مصر الى فترتين :

الاولى : فترة حكم المماليك البحرية [١] وامتدت مائه وخمسة وثلاثين عاما بين عامى ٦٤٨ ـ ٧٨٣ هـ . حكم مصر خلالها خمسة وعشرون سلطانا تتفاوت مدد حكمهم طولا وقصرا . ومعظم المماليك الحكام فى هذه الفترة من الاتراك .

الثانية : فترة حكم المماليك البرجية : [٢] وامتدت مائه وثمانية وثلاثين عاما ما بين عامى ٧٨٤ ـ ٩٢٢ هـ حكم مصر خلالها اربعة وعشرون سلطانا معظمهم من الشراكسة .

وهناك ما يشبه الاتفاق بين المؤرخين على أن عصر المماليك البحرية أو دولة المماليك الاولى كانت اكثر ازدهارا واستقرارا من دولة المماليك الثانية .

وقد جرى حكم الايوبيين على نظام الوراثة ،وحاول المماليك البحرية تطبيق هذا النظام فكان كل سلطان مملوكى يوصى من بعده لوريثه الشرعى ،غير أن الانقلابات لم تكن تهيىء للوريث الفرصة الملائمة للحكم وبخاصة اذا كان طفلا صغيرا .

وكان لكل سلطان "أتابك" (*) ، وكان الاتابك هو الرجل الثانى فى الدولة بعد السلطان ،ويصبح هو الرجل الاول عندما يكون السلطان الرسمى طفلا تحت

---

(١) ترجع تسمية المماليك الاتراك بالمماليك البحرية لسكناهم جزيرة الروضة التى كان يحيط بها نهر النيل ،وكان النيل يسمى عندهم "البحر" فنسبوا اليه .

(٢) ترجع تسميه المماليك الشراكسه بالمماليك البرجيه الى السلطان خليل بن قلاوون الذى استكثر منهم وأسكنهم فى أبراج القلعة بهدف تربيتهم تربية عسكرية صارمة فنسبوا الى هذه الابراج .

(*) كان الاتابك هو القائد العام للجيش وينوب عن السلطان ايضا .

الوصاية ،وكان الاتابك فى هذه الحالة يقوم غالبا بعزل السلطان أو قتله اذا كان ضعيفا ويغتصب السلطة ٠

وتتميز فترة حكم المماليك البحرية بأنها مكنت مصر من السيطرة على قطاع كبير من العالم الاسلامى ،وبخاصة فى مرحله حكم الظاهر بيبرس (٦٥٨ هـ - ٦٧٦ هـ) ، فقد "امتد حكم مصر فى عهد بيبرس من الفترات الى الحجاز وجنوب الجزيرة العربية وشمل كذلك بلاد الشام وبيب المقدس وسواكن وغيرها على البحر الاحمر ، وخضع له عرب الصحراء وكثير من سلاطين المغول ،وتبادل السفراء مع امبراطور الروم ."(١)

وقد شهدت هذه الفترة من حكم المماليك - أعنى فترة المماليك البحرية - عدة أحداث سياسية هامة منها :

- غزو الفرنسيين لمصر عن طريق دمياط ،وانتصار المصريين عليهم وأسر لويس التاسع عشر وكان هذا فى بداية حكمهم .(٢)
- غزو التتار الشرق الاسلامى وسقوط الخلافة الاسلامية فى بغداد عام ٦٥٦هـ ٠
- تصدى المماليك للتتار وهزيمتهم لهم فى معركة عين جالوت فى عهد الملك المظفر قطز بقيادة بيبرس سنه ٦٥٨ هـ ٠

وتعد فترة حكم الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ) والفترة الثالثه من حكم السلطان للناصر محمد بن قلاوون (٧٠٩ - ٧٤١هـ) (*) من أهم فترت حكم دوله المماليك

---

(١) أحمد شلبى ،موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، الجزء الخامس ، الطبعة السابعة (القاهرة : مكتبة النهضة المصريه ،١٩٨٦) ص ٢٣٦ ٠

(٢) يمكن للتوسع فى هذه النقطة الرجوع الى :
شمس الدين الذهبى ، تاريخ دول الاسلام ٠ جـ١ ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، ومحمد مصطفى ابراهيم ، (القاهرة : الهيئة العامه للكتاب ،١٩٧٤) ص١٥٣

(*) ذكر أحمد شلبى (المرجع السابق ص٢٣٩) ما نصه "... وعاد الناصر ليتولى السلطنه للمره الثالثه .. وقد دامت ولايته هذه ثمانية وثلاثين عاما " . وقد سبق أن ذكر فى نفس المرجع(ص٢٢٨) أنه تولى من ٧٠٩-٧٤١ هـ ، وليس لدينا تعليل لهذا الخطأ ،فالصحيح كما ذكر المقريزى أن الولاية الثالثه للناصر محمد بن قلاوون دامت اثنتين وثلاثين سنه وشهرين وخمسة وعشرين يوماً ، حيث تولى يوم ٦ جمادى الاولى سنه ٧٠٩ ومات يوم ٢ شوال سنه ٧٤١ هـ ٠
(المقريزى ،الخطط جـ ٢ ،بيروت : دار صادر ،د .ت ،ص ٢٣٩) ٠

البحرية ،فقد كان كل منهما حاكما حازما سديد الرأى مدينا ،حريصا على توطيد سلطته ،وانعاش البلاد ،وتنظيم أمور الحكم فيها ،كما اهتم كل منهما بتوسيع دائرة نفوذه واخماد الفتن التى تثور فى أطراف البلاد التابعة له .

وقد ظهر حرص المماليك على اضفاء الشرعية على نفوذهم السياسى من خلال سعى الملك الظاهر بيبرس الى اقامة الخلافة الاسلامية فى مصر بعد سقوط بغداد وانهيار الخلافة العباسية بها على يدى هولاكو سنة ٦٥٦ هـ فقد انتهز بيبرس " ظهور أمير عباسى بدمشق " فر من التتار ، فأستدعاه الى القاهرة ،حتى اذا تأكد نسبه الى بنى العباسى ،بايعه هو والناس بالخلافة فى حفاوة بالغة ،ولم يلبث هذا الخليفة العباسى أن قلده (أى قلد بيبرس) سلطنه مصر والبلاد الشامية وغيرها مما يـ ظله سلطانه ،وبذلك ثبت عرشة ووطد سلطانه ضد أيه محاوله قد يحاولها أحد الايوبيين لاستعادة ملك آبائه .(١)

ويعد النشاط العسكرى هو الطابع العام لدولة المماليك البحرية ، فقد كان السلطان المملوكى دائما مشغولا بأكثر من جبهة ،ففضلا عن تأمين سلطته الخاصة ، كان عليه المحافظة على استقرار الاوضاع داخل البلاد التى يحكمها ومحاولة اخماد الفتن التى تثور هنا أو هناك ،كما كان عليه دائما أن يتقى ما يحيط بالدوله من أخطار الغزو الخارجى ،وبخاصه أن تلك الحقبة من تاريخ مصر ، كانت حافلة بتكرار محاولات الغزو الصليبى من جهة ،والغزو المغولى من جهة أخرى . وترتب على هذا أن اهتمام السلطة السياسية كان فى معظمه يتجه نحو تقوية النفوذ العسكرى للدوله من خلال الجيش ،كما عرفت مصر فى عهد المماليك البعثات الدبلوماسية واستقبال السفراء .

فقد وردت الى مصر رسل من ملك الحبشه ، كما كانت هناك وفود من غرب أفريقيا ووفود من بلاد الشرق (٢) ،ومن هذا يتضح سعى حكام المماليك الى توطيد

---

(١) شوقى ضيف ،تاريخ الادب العربى ج ٦ (عصر الدول والامارات ، مصر والشام) (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٤) ،ص ٣٥ .

(٢) محمد زغلول سلام ،الادب فى العصر المملوكى ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧١) ،ص ٤٠ .

سلطاتهم عسكريا ، وشرعيا ،وسياسيا . وكان من الاساليب التى ينتهجونها فى ذلك الصدد ،ابعاد المصريين عن تولى المناصب ذات النفوذ ، وقد حاول السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون استخدام بعض المصريين ورقاقهم امراء ومقدمين بدلا من المماليك ورأى أنهم مأمونوا العاقبة ،ثم ثار عليه رجاله وقتلوه ولم يسمحوا بأن يتولى المصريون بعد ذلك مناصب الجيش الرئيسية (١) ، باستثناء هذه المحاوله لم يعرف فى عهد المماليك مصرى تولى قيادة الجيش أو تبوأ مركزا مرموقا فى الدولة .

الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية :

انتهج سلاطين المماليك سياسات اقتصادية متعددة بهدف تحقيق الاستقرار الاجتماعى الذى يمثل ضمانا لاستمرارهم فى السلطة حدث هذا بصفة خاصة فى عهدى بيبرس والناصر محمد بن قلاوون ومع هذا فلم تخل حياة المصريين فى عهودهم المتعاقبة من أزمات اقتصادية بين الحين والاخر .

والحقبة التى يهمنا القاء الضوء عليها هى النصف الاول من القرن الثامن الهجرى حيث عاش ابن الاكفانى ،وقد شهدت هذه الحقبة عدة تنظيمات فى عهد السلطان الناصر منها :

(أ) صدور الروك الناصرى عام ٧١٥ هـ . ومعنى الروك يقترب من معنى اعادة تقسيم الارض . فالارض الزراعية كانت مملوكة للسلطان والطبقة الحاكمة ،وليس لافراد الشعب المحكومين حق ملكية الارض .
ومقتضى هذا الروك " خصص للسلطان عشرة أقسام وللامراء والجنود أربعة عشر قسما ". (٢)

(ب) الاصلاحات الزراعية : اهتم الناصر بزيادة الاراضى الزراعية ، فكما روى ابن تغرى بردى (٣) ان الملك الناصر كانت له عناية كبيرة بالاراضى ، وعمل

---

(١) المرجع السابق ،ص ٤٨ من : (النجوم الزاهرة ، ١٠/ ٣١٠)
(٢) محمود رزق سليم ،عصر سلاطين المماليك ،القاهرة : مكتبه الاداب ، ١٩٦٢ ص ٢٨٨ .
(٣) ابن تغرى بردى الاتابكى ،النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) ج٩ ،القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمه والنشر ،د. ت ،ص ١٩١ .

الجسور لتخزين المياه واعادة استخدامها لاستصلاح الاراضى ،حتى زادت الديار المصريه فى أيامه بمقدار النصف ... وزادت الاحكار على ستين حكرا .

(جـ) تخفيف الضرائب : ففى سنه ٧١٠ هـ أبطل السلطان الناصر عدة ضرائب كانت مفروضة على الاسواق منها ضريبه " نصف السمسره " ، كما الغى سنه ٧١٠ هـ أيضا ضريبه أخرى كانت تؤخذ من عرفاء الاسواق .(١)

وبصفة عامة ،كان السلطان صاحب اليد العليا فى التصرف فى الارض الزراعيـة وهى تمثل آنذاك المورد الاساسى للانتاج وكان السلطان يمنح لكل أمير أو جندى اقطاعا يناسب مرتبته فيملكـة طول حياته ،الا اذا رقى الى رتبه أعلى فأستحق بسببها اقطاعا أوسع ، أو غضب عليه السلطان فأنه يسترد منه الاقطاع ، أو ينفيه عن البلاد .. واذا مات صاحب الاقطاع فأن اقطاعة يرد الى السلطان ولا يستفيد ورثته منه ، ومن هنا لجأ كثير من الاقطاعيين الى حيلة شرعية وهى " الوقف " ليضمنوا لاولادهم رزقا .(٢)

وقد تأثرت الاوضاع الاجتماعية بالحالة الاقتصادية ،اذ يمكن تقسيم المجتمع المصرى فى العصر المملوكى الى طبقتين متمايزتين :

الطبقة الاولى : هى الطبقة الحاكمة وتضم السلطان وأعوانه من الامراء والقضاء ورؤساء الشرطة والجنود .

الطبقة الثانية : فكانت ـ على ما رواه المقريزى ـ مؤلفه من ستة عناصر :

١ـ أهل اليسار من التجار وأولى النعمة
٢ـ الباعه وهم متوسطوا الحال من التجار
٣ـ أهل الفلح وهم أهل الزراعة وسكان الريف
٤ـ الفقراء وهم جهل الفقهاء وطلاب العلم .
٥ـ أرباب الصنائع والاجراء وأصحاب المهن .
٦ـ ذوو الحاجة والمسكنه الذين يتكففون الناس.

---

(١) قاسم عبده قاسم ،أسواق مصر فى عهد سلاطين المماليك ،ص ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) محمود رزق سليم ،مرجع سابق ،ص ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

وعلى الرغم مما نلحظة من اتساع نطاق الطبقات الدنيا ، وضيق الطبقة الحاكمة فان كتب التاريخ تفيض بذكر عادات المجتمع المصرى فى عصر المماليك وتقاليده ، وتتحدث عن حفلات تنصيب السلاطين ومواكبهم فى الحرب والنزهة والصيد ، وتصف المواسم الدينية وحفلات الزواج والختان ، وما كان يصحب ذلك من مرح ولهو .(١)

وقد حدثت مجاعات وأوبئه فى عصر المماليك سجل المؤرخون منها الغلاء الذى حدث فى عهد الناصر سنه ٧٣٦ هـ حيث سجل المقريزى ارتفاع سعر القمح ، وبحث الناس عن الخبز ووقوفهم صفوفا أمام دكاكين الخبازين .(٢)

ومن أهم وأشهر الاوبئة التى حدثت فى ذلك العصر ذلك الطاعون العام الذى حدث سنه ٧٤٩ هـ ، ويقدر عدد ضحاياه ما بين عشرة الاف وعشرين ألف نسمة يوميا .(٣)

كما اشتهر فى ذلك العصر انتشار المجون واللهو مما يعكس السمات التاريخية التى تميزت بها الشخصية المصرية . كما نال الاقباط مراكز اجتماعية مرموقة فى الدولة المملوكية مما يشير الى استمساك السلاطين المماليك بسماحة الاسلام وتأثرهم بديموقراطية الحكم الاسلامى التى شهدتها العصور السابقة عليهم .

---

(١) المرجع السابق ، ٢٩٤ .
(٢) محمد زغلول سلام ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ .
(٣) قاسم عبده ، ص ٦٨ .

الاوضاع الثقافية والتعليمية :

وعلى الرغم من الصورة القاتمة التي يرسمها كثير من المتسرعين للعصر المملوكي فأن الحقيقة أن هذا العصر ،وان شابه كثير من التناقض ،كان عصر ازدهار علمي وثقافي • وقد ساعد على ذلك عوامل كثيرة منها :

(١) استمرار حالة التوتر العسكري بسبب استمرار المناوشات الصليبية من جهة ، واندلاع انتفاضات داخلية من جهة أخرى ،مما جعل السلاطين في حاجة متجددة الى استنفار الشعب ، وتعبئته سياسيا ودينيا ليلتف حول السلطان •

(٢) وجود كثير من العلماء الكبار من شتى التخصصات في هذا العصر أسهم في نشر العلم والتعليم •

(٣) لجوء بعض الاقطاعيين للاحتفاظ بأقطاعاتهم لورثتهم بعد وفاتهم ، جعلهم يلجأون الى " الوقف " وكان التعليم الديني من أهم المجالات التي يتم وقف الارض للانفاق عليها لدفع أجور المعلمين والمتعلمين •

(٤) حركة الهجرة بين مصر والشام والعراق ،بل وغرب أفريقيا ،وما ترتب عليها من انتقال الافكار وسير العلماء مما كان له أثره في الحفز والتشجيع على التأليف والمناقشة والاخذ والرد •

ومن أشهر علماء عصر المماليك ابن أبي اصيبعه :
وكان من مشاهير الاطباء وترجم لما يقرب من ٤٠٠ طبيب في كتابه الشهير " عيون الانباء في طبقات الاطباء " • وابن خلكان (٦٨١ هـ) وهو - كما يقول أحمد شلبي - أبرز مؤرخي السير في السلام ،وقد ترجم في كتابه " وفيات الاعيان " لحياة ٨٦٥ من الاعيان والعظماء فضلا عن هذين المؤرخين الكبيرين نجد من مشاهير علماء هذا العصر : أبو الفدا ،والشاعر ابن نباته المصري ،والمؤرخ ابن فضل الله العمري واسرته ،وعالم الاجتماع الكبير ابن خلدون ، والفقية المشهور ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، ثم الطبيب العربي ابن النفيس ، وابن شاكر الكتبي المؤرخ ، وابن دقماق والقلقشندي ،وابن حجر العسقلاني ••• وغيرهم كثير • (١)

---

(١) احمد شلبي ،ص ٢٧٥ ،ومابعدها •

ويعد علماء ومؤرخو وفقهاء العصر المملوكي علامات بارزه بحق في تاريخ العلم والتعليم في مصر ،وقد كان لاسهامهم بالتدريس أو بالتأليف أكبر الاثر في وجود نهضة علمية وتعليمية في ذلك العصر . خصوصا اذا عرفنا أن سلاطين المماليك توسعوا في انشاء المدارس وتنظيمها والى عصرهم يرجع الفضل في تشجيع جميع المذاهب الاسلامية على عرض فقهها وآرائها ، فلم يعرف عنهم التعصب لمذهب معين ، كأسلافهم الفاطميين والايوبيين .

وربما كانت النزعة الدينية الصادقة التي سيطرت على كثير من السلاطين نتيجة احساسهم بفضل الاسلام الذى حررهم من العبودية وأتاح لهم من السلطة أقصى ما يمكن ان يتاح لانسان في نظام اجتماعي .

لذلك كان السلاطين هم الذين يقررون المواد الدراسية وتحت تأثير النزعة الدينية ،اصطبغت النواحي التعليمية مناهج ودراسين بالصبغة الدينية . وقد ذكر المقريزى عددا كبيرا من المدارس التي أنشأها السلاطين .

أما مراحل التعليم في هذا العصر فكانت ثلاثا : (١)

المرحلة الاولى :

يعلم الطفل فيها في المكتب الخط والاملاء وشيئا من الحساب ويحفظ القرآن الكريم .

المرحلة الثانية :

يأخذ الشاب فيها نفسه بحفظ كثير من الكتب والفنون المختلفه . وهنا تبدو همة الطالب وذكاوه ومبلغ شغفه بالعلم ،ويستطيع الطالب أن يتقدم كلما حفظ كتابا أو متنا لاحد الشيوخ ليعرضه عليه ،فاذا اطمأن الشيخ الى حفظه كتب له "أجازه عراضه" يشهد له فيها بذلك .

---

(١) محمود رزق سليم ، ص٢١٦ ، ٢١٧ .

المرحلة الثالثه :

وهى مرحلة الدراسة العالية ، تنتفع فيها الطالب بذخيرته المحفوظة فى المرحلة السابقة ، وفى هذه المرحلة يلازم الطالب شيخا أو اكثر يطوف عليهم ويختارهم بمحض رغبته ويظل يتلقى عنهم العلم حتى يجيزون ، أو يجيزه أحدهم بالفتوى أو للتدريس ، ومن ثم يصبح آهلا لتولى وظائف الدولة .

ومما سبق يمكننا أن نستنتج أن الهدف الدينى ، والسعى الى نيل مركز اجتماعى والعامل المادى ، كان من أهم أهداف التعليم فى العصر المملوكى .

شخصيه ابن الاكفانى ومصادر دراسته :

هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد هذا هو اسمه ، اما لقبه فتلحقه ثلاثة ألقاب هى : الانصارى (١) ، والسنجارى (٢) ، وابن الاكفانى (٣) ، واللقب الاخير هو الذى عرف به .

---

(١) خير الدين الزركلى ، الاعلام ، جـ٥ ، ط ٦ (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٤) ص ٢٩٩ .

(٢ و ٣) ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنه فى أعيان المائه الثامنه ، (بيروت: دار الجيل ، د . ت) الجزء الثالث ، ص ٢٧٩ . عن سنجار قال ياقوت :
سنجار : بكسر أوله وسكون ثانية ثم جيم ، وآخره راء : مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام وهى فى لحف جبل عال ، ويقولون : أن سفينه نوح ، عليه السلام ، لما مرت به نطحته فقال نوح : هذا سن جبل جار علينا ، فسميت سنجار . ولست أحقق هذا ، والله أعلم به . الا أن أهل المدينة يعرفون هذا صغيرهم وكبيرهم ويتداولونه ، وقد قال ابن الكلبى : انما سميت سنجار وأمد وهيت باسم بانيها ، وهم بنو البلندى ابن مالك بن دعر بن بويب ابن عنقاء بن مدين بن ابراهيم عليه السلام ، ويقال سنجار
قالوا : ودعر هو الذى استخرج يوسف من الجب وهو آخر أمد الذى بنى أمد واخو هيت الذى بنى هيت وذكر أحمد بن كسر الهمزانى قال : ويقال ان سفينة نوح نطحت فى جبل سنجار بعد سته أشهر وثمانية أيام من ركوبه اياها فطابت نفسه وعلم أن الماء قد أخذ ينصب فسأل عن الجبل فأخبروه به فقال : ليكن هذا الجبل مباركا كثير الشجر والماء ثم وقفت السفينة على جبل الجودى بعد مائه واثنين وتسعين يوما فبنى هناك قرية سماها قرية الثمانين لانهم كانوا ثمانين نفسا ـــ

ولد بسنجار(من بلاد فارس) ولم يذكر من أرخوا له عاما لمولده ،كما لم يذكروا شيئا عن أساتذته أو تلاميذه أو اسرته ،ثم رحل الى مصر ،ومات بها سنه ٧٤٩ هـ ، ويتفق معظم الذين ارخوا له على أنه توفى فى الطاعون العام الذى كان بمصر فى تلك السنه .

فاذا علمنا تركيز المؤرخين على أن وفاته كانت فى عام الطاعون ،جاز لنا أن نتوقع أنه لم يكن آنئذ شيخا فانيا ،فاذا افترضنا انه مات فى حوالى الستين من عمره مثلا . فمن المتوقع أن ينحصر مولده ما بين عامى ٦٨٠ ، ٦٩٠ هـ .
والذى بين أيدينا يدل على معرفة مؤرخية بتاريخ حياته العلمى ،فابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) صاحب الدرر الكامنه يذكر انه " ولد بسنجار وطلب العلم ففاق فى عدة فنون " . مما يدل على عبقرية مبكرة ،ونبوغ أصيل .
ويذكر الزركلى فى الاعلام انه ولد ونشأ فى سنجار . أى أن هجرته الى القاهرة تمت وهو فى سن الشباب .

فاذا علمنا أن المخطوط الذى بين أيدينا تم تأليفه عام ٧٣٤ هـ اى قبل وفاته بنحو خمس عشرة سنه ،وقد ورد فيه ذكر أسماء عدة كتب من مؤلفاته التى عدها الزركلى تسعة مؤلفات . فمن المتوقع أن يكون ابن الاكفانى قد اصبح مشهورا ومعروفا فى مصر خلال العقدين الاولين من القرن الثامن الهجرى .

سنجار: وقال حمزه الاصبهانى : سنجار تعريب سنكار ولم يفسره وهى مدينه طيبة فى وسطها نهر جار وهى عامرة جدا وقدامها واد فيه بساتين ذات أشجار ونخل وترنج ونارنج وبينها وبين نصيبين ثلاثة ايام أيضا ،وقيل : ان السلطان سنجر ابن ملك شاه بن ألب أرسلان بين سلجون ولد بها فسمى باسمها . عن الزمخشرى قال فى الزيج طول سنجار ثلاثون درجة وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف وثلث وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والادب والشعر .
وقد نسب الى سنجار جماعة وافره من أهل العلم منهم من أهل عصرنا اسعد بن على ابن موسى ابن منصور الشاعر يعرف بالبهاء السنجارى أحد المجيدين المشهورين ، وكان أولا فقيها شافعيا ثم غلب عليه قول الشعر فاشتهر به وقدم عند الملوك ونا هز التسعين وكان جريا ثقة كيسا لطيفا فيه مزاح وخفة روح وله أشعار جيده .
انظر : ياقوت الحموى ،معجم البلدان ،بيروت : دار احياء التراث العربى ، ١٩٧٩ ، الجزء الثالث ،ص ٢٦٣ .

ومن المؤكد أن ابن الاكفاني قد عاش في السلطنه الثالثه للناصر محمد بن قلاوون التي امتدت من ٧٠٩ هـ حتى ٧٤١ هـ • فنحن لا نعرف على وجه التحديد متى ولد ابن الاكفاني ، والذي أشارت اليه المصادر التاريخية هو تاريخ وفاته فقط (سنه ٧٤٩هـ) ويذكر صاحب الدرر الكامنه انه مات في الطاعون العام سنه ٧٤٩ هـ ، وهذا التاريخ هو المسجل على ظهر المخطوط الذي نحن بصدد تحقيقه • وقد أثبت هذا التاريخ أيضا الزركلي في الاعلام وصاحب البدر الطالع ، وشذ عن هذا الاجماع حاجي خليفه في كشف الظنون حيث ذكر انه توفى سنه ٧٩٤ هـ [1] ، وشوقي ضيف الذي ذكر انه توفى سنه ٧٤٨ هـ • [2]

ومن المحتمل أن يكون التاريخ الذي سجله حاجي خليفه هو مجرد خطأ في ترتيب أرقام سنة الوفاة ، أما ما ذهب اليه شوقي ضيف فلا دليل يسانده وبخاصة انه يخالف ما جاء في المصدر الذي رجع اليه في كتابه وهو البدر الطالع للشوكاني لاحق على كتاب الدرر الكامنه تاريخيا وليس سابقا له • بل ان ما ذكره الشوكاني تكاد يكون منقولا نقلا من الدرر الكامنه مما يرجح أن الاخير هو الاصل اذ انه أقرب المصادر تاريخيا الى ابن الاكفاني •

والمؤلفات التي ينسبها المؤرخون الى ابن الاكفاني نحو تسعة كتب في مجالات علمية مختلفه • كما يذكرون عن مكانته وصفاته الشخصية الشئ الكثير مما يجعلنا نستنتج انه لم يكن شابا وقت وفاته بل أن سنه حين توفى لم تكن لتقل عن خمسين عاما لكي يحقق ما حقق من شهره ، وليكتب ما كتب من مصنفات •

وعلى هذا الاستنتاج يكون مولده تقريبا خلال الربع الاخير من القرن السابع الهجري وهذه الفتره فترة اضطراب سياسي شهدت انقلابات سلطوية متعدده بين المماليك حتى استقر السلطان الناصر على عرشه للمره الثالثه بعد بداية القرن الثامن

---

(١) حاجي خليفه ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، (بغداد : مكتبة المثنى ، د • ت) ص ٦٦ •

(٢) شوقي ضيف ، عصر الدول والامارات (مصر والشام) ، سلسلة تاريخ الادب العربي ، (٦) ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٤) ص ١٠٢ •

الهجرى بقليل .

وقد كان ابن الاكفانى طبيبا مشهورا فى عصره ،ويبدو انه كان مختصا بطب العيون فكلمه " حكيم " كانت اذا اطلقت اريد بها الطبيب ،وأريد بها طبيب العيون بنوع خاص(١) ، ويبدو من كلام المؤرخين انه كان على علم وافر بالعلوم الطبيعية وقد ذكروا له كتابا اسمه "نخب الذخائر فى أحوال الجواهر" أشار الزركلى الى أنه مطبوع(*)

وقد بلغ من شهرته أن رتب بالمارستان (أى عين فيه طبيبا بمرتب ثابت) ، و روى الشوكانى وابن حجر فى معرض الحديث عن شهرته بعد تعيينه بالمارستان قولهما ، وألزم الناظر بأن لا يشترى شيئا الا بعد عرضه عليه " ،وربما كان التعبير الصحيح المقصود ،والتزم الناصر (أى السلطان الناصر) بأن لا يشترى شيئا (أى من الادويه) الا بعد عرضه عليه فما أجازه أمضاه والا فلا ..

ويبدو لنا تمكنه من مهارة الطب الذى تخصص فيه من هذه المكانه التى تبوأها فى عهد السلطان الناصر ،كما يبدو لنا ذلك أيضا من بيتين من الشعر رواهما ابن حجر العسقلانى منسوبين الى ابن الاكفانى يسخر فيهما من كحال يعالج عيون الناس بالكحل فيتهمه بأنه جاهل وذلك حيث يقول :

ولقد عجبتُ لعاكسٍ للكيميا	فى كُحْلِهِ قد جاء بالشنعاء
يُلْقِى على المِيْلِ النُّحَاسِيِّ يُحِيلُها	فى لمحةٍ كالفضة البيضاء !

وقد تحدثت المصادر عن الجوانب الشخصية لابن الاكفانى حين أشارت الى أنه كان متفوقا فى طلبه للعلم ، وكان حافظا للتاريخ للاشعار وكان كثير التجمل فى ملبسه ومركبه وكان فكها لطيف المعشر مما يشير الى أنه كان يتبوأ مكانه اجتماعية مرموقه . ويتمتع بمستوى رفيع من الناحية المادية .

---

(١) محمود الطناحى ،الموجز فى مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم ، القاهرة: مكتبة الخانجى ، ١٩٨٥ ،ص ٦٤ .

(*) هذا الكتاب فى الجيولوجيا حقيقة ونشرة الاب أنستاس الكرملى ، راجع مقالا عنه فى مجلة العلم (القاهرة : أكاديمية البحث العلمى ،العدد ٤٣ فبراير ١٩٨٨) ص ٤٠ ، بقلم مصطفى يعقوب عبد النبى .

والمصادر الرئيسية التي تعرضت لشخصية ابن الاكفاني هي :

١- الدرر الكامنه في أعيان المائه الثامنه لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٣ هـ) .

٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ت (١٢٥٠ هـ) .

ومن المصادر الاحدث :

١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة .

٢- الاعلام لخير الدين الزركلي .

ومن المراجع الحديثة كتاب شوقي ضيف عصر الدول والامارات وهو الجزء السادس من سلسلة تاريخ الادب العربي .

هذه على سبيل الحصر المصادر والمراجع التي تمكن الباحث من الوصول اليها ممن تعرض لابن الاكفاني .

العوامل المؤثرة فى فكر ابن الاكفانى التربوى :

١ - الطبيعة العلمية للعصر :

اتسم العصر الذى عاش فيه ابن الاكفانى بأنه عصر ازدهار علمى ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال :

أ - رصد أسماء علماء ذلك العصر وهم من أبرز مشاهير التراث العربى فى شتى المجالات كابن النفيس (مكتشف الدورة الدمويه) والقلقشندى الاديب ، والفقهاء ابن تيميه وابن القيم والمحدث والحافظ ابن حجر العسقلانى .. والمؤرخ ابن خلكان وغيرهم كثيرون ..

ب - المؤلفات الضخمة التى تركها أولئك العلماء البارزين فى شتى التخصصات .

جـ - انتشار المدارس فى معظم أنحاء مصر بتشجيع مباشر من السلاطين ووجود نظم مالية لتمويل التعليم . وقد سجل المقريزى فى خططه والادفوى فى الطالع السعيد كثيرا من أوضاع التعليم فى ذلك العصر وأسماء المدارس وأماكنها وأسماء المعلمين القائمين بالتدريس فيها .

ومن الممكن أن نتوقع تأثيرا لهذا المناخ العلمى فى رجل كابن الاكفانى ، فهو قد هاجر الى مصر من سنجار فى سن الشباب ، ومن الطبيعى أن يدفعه طموحه العلمى الى البحث عن مكانة اجتماعية ، والعلم هو الطريق الطبيعى لرجل غريب مثله لكى يحظى بالقرب من الاضواء السلطانية ، وقد تحقق له هذا بالفعل كما روى مؤرخوه .. وبالتالى فأن فكرة التربوى ، وآراءه فى التعليم ، لابد أن تعكس لنا هذا الاثر الواضح لظروف عصره .

٢ - ثقافته الخاصة :

على الرغم من قلة المصادر التى تناولت شخصية ابن الاكفانى ، فأن الفقرات المتناثرة عنه تتيح للباحث أن يستنتج أن ثقافة الرجل متنوعة فقد روى عنه ابن حجر العسقلانى (٨٥٢ هـ) وهو أقرب مؤرخيه اليه زمنيا ، أنه كان متفوقا فى صغره

فى الرياضيات وانه نبغ فى علم الطب دراسة وممارسة ،ويبدو انه كان متخصصا فى طب العيون كما توقع شوقى ضيف فى اشارته اليه ،ونحن نؤيد هذا الذى ذهب اليه شوقى ضيف استنادا الى :

١ـ أن لابن الاكفانى مخطوطتين فى طب العيون هما :

- نهاية القصد فى صناعة القصد .
- كشف الرين فى أحوال العين .

٢ـ أن له بيتين من الشعر رواهما ابن حجر ونقلهما عنه الشوكانى وهو يهجو فيهما كحالا يعالج العيون بالمعادن فيصفه بأنه يتسبب فى عمى من يعالجه وينم هذان البيتان عن معرفة بالطرق الصحيحة لعلاج العيون ،كما ينمان عن روح فكاهية كان يتمتع بها . يقول فيهما :

ولقد عجبت لعاكس للكيميا	فى كحله قد جاء بالشنعاء
يلقى على العين النحاس يحيلها	فى لحمة كالفضة البيضاء

وتبلغ المؤلفات التى ذكرها الزركلى لابن الاكفانى تسعة مؤلفات هى :

١ـ ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد .
٢ـ الدر النظيم فى أحوال العلوم والتعليم .
٣ـ نخب الذخائر فى أحوال الجواهر .
٤ـ كشف الرين فى أحوال العين .
٥ـ غنية اللبيب فى غيبة الطبيب .
٦ـ نهاية القصد فى صناعة الفصد .
٧ـ النظر والتحقيق فى تقليب الرقيق
٨ـ روضة الالباء فى أخبار الاطباء .
٩ـ اللباب فى الحساب .

ومن هذه القائمة نستنتج ان له اهتمامات تربوية حيث أن ثلاثة كتب من هذه التسعة ذات طبيعة تربوية وهى الكتاب الحالى : " ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد " والآخران هما " الدر النظيم فى أحوال التعلم والتعليم " و " اللباب فى الحساب " .

وما زال الاخيران مخطوطين أيضا •

ويبدو أن تخصصه فى الطب واهتمامه بالرياضيات وبالفلسفة اليونانية القديمة كما روى عنه ،يبدو أن لذلك أثره فى فكرة التربوى حيث يتضح لنا ذلك من تقسيمة للعلوم ،وحديثة عن أهمية استخدام المنطق فى مناهج البحث• ومن ذلك كله نستنتج أن ثقافته الخاصة كانت من العوامل الهامة الموثرة فى فكره التربوى •

٣ـ سماته الشخصية :

روى ابن حجر عن ابن الاكفانى انه كان فوق تخصصه وبراعته فى الطب ، مستحضرا للتاريخ وحافظا للاشعار ،وشاعرا ،كما نقل عنه أنه كان محاضرا بارعا يجذب اهتمام مستمعيه ،ويعبر عما يريد بايجاز بليغ ،ومرح وفكاهة ، كما يروى عنه انه كان انيق المظهر ،حسن الملبس ،ونستطيع بسهوله أن نلمس اثر هذه الصفات فى فكره التربوى ، فهو يركز على أهمية أن يكون للمتعلم قدوة من معلميه ويجب عليه أن يعتز بأستاذه ويقدره ويحفظ له مكانته ،ويتحدث عن ضرورة تواضع طالب العلم وأهمية ذلك التواضع فى التحصيل ،كما ان ظروفة الخاصة بتوليه العمل فى المارستان كطبيب له مكانته البارزه ظهر أثرها بوضوح فى فكره التربوى حين يذكر أن من عوائق التعلم عدم استغلال الوقت استغلالا حسنا ،وتولى المناصب الذى يشغل صاحبه عند طلب العلم •

٤ـ فكره السياسى والاجتماعى :

من الصعب جدا أن نحدد أبعاد الفكر السياسى والاجتماعى لابن الاكفانى بالنظر الى ندرة ما كتب عنه ولكن من الممكن أن نتوقع أنه كان شيعيا أو محبا للشيعة على الاقل ،وذلك :

١ـ أنه فى مواطن كثيره يستشهد بكلام للامام على بن ابى طالب •

٢ـ انه يتبع ذكر الامام على بقوله " عليه السلام" ويتكرر ذلك عند ذكره لمحمد بن على ابن الحسين ،وعند ذكره لجعفر الصادق • وهذا الاسلوب (التسليم على آل البيت) من خصائص بعض فرق الشيعة •

٣- انه عند تعرضه للفرق الاسلامية ينتقد بعض الفرق الضالة ويوجز عند الحديث عن بعضها الاخر ،ولكنه يتوسع كثيرا فى عرض أفكار الشيعة وفرقهم المختلفة •

هذا من جهة فكره السياسى ،وأما من جهة فكره الاجتماعى فيمكننا ان نتوقع أ ن هجرته من سنجار الى مصر قد تكون طلبا للرزق أو للمكانة الاجتماعية ، فأذا عرفنا من دراسة عصر المماليك ،ان ط

ان طلاب العلم كانوا من أدنى الطبقات الاجتماعية ،وكان السعى الى طلب العلم مبعثه أحيانا الرغبة فى الحصول على الارزاق من خلال الرواتب التى كان يخصصها السلاطين والموسرون للانفاق على طلاب العلم الفقراء ،اذا عرفنا هذا كله ، جاز لنا أن نتوقع أن ابن الاكفانى رجل عصامى اعتمد على نفسه فى تحقيق مكانه رفيعة بما أتاه الله من علم ،وما ظهر عنده من نبوغ تمثل فى عمله طبيبا ، وفى موءلفاته العديده، ويمكن أن نرى أثر ذلك فى فكره التربوى حين نجده يذكر من عوائق التعليم الانشغال بجمع المال والجاه عن العلم ،كما يذكر أيضا ضيق ذات اليد كعامل موءثر فى الانقطاع عن الدراسة ،كما نجده يتحدث فى شروط التعلم عن ضرورة استثمار العلم والافادة منه •

تعقيب :

مما سبق يمكن أن نقول أن العوامل التى أثرت فى فكر ابن الاكفانى التربوى هى :

١- طبيعة عصره العلمية •

٢- ثقافته الخاصة (الرياضيات والعلوم والطب)

٣- سمات شخصيته •

٤- فكره السياسى والاجتماعى •

وان كان ذلك كله قابلا للمناقشة ،فأنه مجرد استنتاج من أسطر قليلة ،وردت عنه وبقدر ما أسعفتنا به المراجع اذ أن نتاج هذا الرجل مازال مخطوطا •

أهم جوانب الفكر التربوى عند ابن الاكفانى :

- مفهوم التعليم:

يظهر من كلام ابن الاكفانى عن التعليم أنه يجمع عناصر العملية التعليمية جميعا فهو يقول " كل تعليم وتعلم ذهنى فأنما يكون بعلم سابق فى معلوم ما ، من عالم لمن ليس بعالم ، لما ليس بمعلوم " .

فقوله " علم سابق " يشير الى المنهج أو المحتوى المراد تعليمه
وقوله " من عالم " يريد به المعلم .
وقوله " لمن ليس بعالم " يريد به المتعلم .
وقوله " لما ليس بمعلوم " يشير الى حالة المتعلم قبل تلقية العلم ، أى أن ما يعرفه المتعلم من المعلم ، لم يكن معروفا له قبل تعلمه اياه .

ثم ينتقل خطوة تقدمية فيشير الى التعلم الذاتى الذى يمكن للفرد تحصيله بقدح ذهنه ، وتأمل ما حوله من ظواهر فيقول :
(وقد يكون " أى التعلم " بالطبع " أى يمكن أن يحصله الانسان بطبيعته " وتفيده وقائع الزمان بتردد الاذهان فى موجودات الاعيان وأحوالها (= الظواهر الطبيعية) .

أقسام العلم :

ويقسم ابن الاكفانى العلم الناتج عن التعلم الى قسمين :
الاول : ويسميه العلم التجريبى : وهو الناتج عن الملاحظة الحسية المباشرة للظواهر الطبيعية .
الثانى : ويسميه العلم القياسى : وهو الناتج عن ارادة الانسان أن يتعلم ، ووسيلته عنده البحث وأعمال الفكر .

و التقسيم السابق للعلوم الى تجريبية وقياسية ، يبدو أنه تقسيم من حيث منهج البحث المستخدم فى الوصول الى المعرفة العلمية . ذلك لاننا نجد فى مواضع أخرى من المخطوطة أن ابن الاكفانى يقسم العلوم تقسيما آخر ، فاذا كان الاهتمام

الغزالي (١) قد قسم العلوم وذكر ضمن بعض الاقسام علوما غير مرغوب في تعلمها لانها لاتفيد الانسان في دنياه ولا في أخراه ،فأننا نجد ابن الاكفاني يختلف معه في هذه الناحية ،فهو يرى أن كل العلوم نافعة .

يقول ابن الاكفاني " واعلم انه لا شئ ولا واحد من العلوم من حيث أنه علم بضار ،بل نافع ... وانما توهم في بعض العلوم انه ضار أو غير نافع لعدم اعتبار الشروط التي تجب مراعاتها في العلم والعلماء " .

تفاضل العلوم :

يرى ابن الاكفاني أن العلوم جميعا تشترك في صنفين : النفع والشرف . فالعلوم شملها نافعة ،والعلوم كلها شريفة ،ولكن العلوم قد تتفاضل من جهة الغرض من تحصيلها فعلم الاخلاق من هذه الناحية من أفضل العلوم " فأن غايته معرفة الفضائل الانسانية وتحصيل الفضيلة " ،كما قد تتفاضل العلوم من جهة موضوعها فعلم الطب من هذه الناحية من أفضل العلوم لان موضوعه بدن الانسان . كما قد تتفاضل العلوم من جهة منهج البحث فيها فتبرز هنا أفضلية العلوم الرياضية فأنها برهانية يقينية على حد تعبيره .

وهناك مغالطات يلتفت اليها ابن الاكفاني ويذكر بعضها في مجال تقسيم العلوم منها :

١- أن يظن بالعلم فوق غايته ،فيتوقع أن علم الطب يبرئ جميع الامراض.
٢- ان يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف ، فيظن بالفقه أنه أشرف العلوم مع أنه علم التوحيد أشرف منه ،فعلم الفقه يتناول الاحكام الشرعية التي تنظم العبادات والمعاملات ،أما علم التوحيد فيتناول ما يجب معرفته في حق الله والملائكة والرسل.
٣- أن يوضع للعلم هدف غير جوهري ،كطلب العلم للحصول على المال أو الجاه . فالهدف الاسمى للتعلم عند ابن الاكفاني هو معرفة الحقائق وتهذيب الاخلاق .

---

(١) انظر : مصطفى درويش ،في تاريخ التربية ،ط٢ ،القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٥ ص ١٥٠ .

٤- أن يمتهن العلم باتاحته لمن ليسوا أهلا له • فتعلم الطب كان فى الزمن القديم حكمة موروثة عن النبوة كما يعتقد ابن الاكفانى ،فلما تعاطاه سفله اليهود لم يتشرفوا به ،بل رذل بهم وهزلت قيمته •

تقسيم العلوم من حيث غايتها :

قلنا ان ابن الاكفانى قسم العلوم من حيث مناهجها البحثية الى علوم تجريبية وعلوم قياسية ،وهناك تقسيم آخر أورده يستند الى الهدف من تحصيل العلم ، ويمكن اجمال هذا التقسيم على النحو التالى :

أولا : علوم مقصوده لذاتها :

ويسميها العلوم الحكمية (نسبه الى الحكمة) ويرى ان هدف هذه العلوم هو استكمال النفس الانسانية لفضائلها ولهذه العلوم جانبان جانب نظرى وجانب عملى • أما الجانب النظرى فيرى أنه يتحقق بحصول الاعتقادات التعينية فى معرفة الوجودات وأحوالها ،ويمكن أن نعبر عن ذلك بأنه يقصد بهذا الجانب العلوم التى يمكن أن يتم تحصيلها بالادراك الحسى المباشر ،أو الادراك العقلى - أو الوجدانى - الذى يقترب من الادراك الحسى مصداقيته • ويندرج تحت هذا الجانب النظرى ثلاثة مستويات •

ا - مستوى أعلى : وهو العلم الالهى كالتوحيد مثلا •

ب - مستوى أوسط : وهو العلم الرياضى (وهو عنده أربعة علوم : الهندسة ، والهيئة، والعدد ،والموسيقى) •

جـ - مستوى أدنى : وهو العلوم الطبيعية •

ويستند هذا التقسيم الى أن المستوى الاعلى وهو العلم الالهى علم مجرد عن الطبيعة المادية على مستوى العقل أو الحس،فنحن لا نستطيع أن نضع تصورا عقليا للاله ،كما اننا عاجزون بالحوس عن ادراكه حسيا ،والمستوى الاوسط وهو العلم الرياضى يصح تجرده عن الماديات فى الذهن كالوسيقى والاعداد • أما المستوى الادنى وهو العلوم الطبيعية فأنها العلوم التى لها وجود مادى فى الخارج وبالتالى فأن لها وجودا ماديا فى الذهن •

وأما الجانب العملى من العلوم الحكمية فتندرج تحته ثلاثة علوم :

١- علم الاخلاق : ويهتم بالامور الخاصة بالشخص وحدة .

٢- علم تدبير المنزل : ويهتم بالامور الخاصة بالانسان وذوية .

٣- علم السياسة : ويهتم بالامور التى تنظم علاقة الانسان بمجتمعه

ثانيا : علوم غير مقصوده لذاتها

ويقصد ابن الاكفانى بهذا النوع من العلوم ما يمكن أن نسميه بالعلوم المساعدة وتعبيره هو "العلم الذى لا يقصد بذاته بل يكون آله لغيره" ،وهو يقسم هذه العلوم الى قسمين : قسم يرى أنه خاص بالمعانى كالمنطق ،وظاهرة كلامه انه يقصد بالمعانى الامور المجردة والاحكام العقلية . والقسم الثانى يرى أنه وسيلة للتوصل الى المعانى وهو يشمل عنده : اللفظ والخط أو بتعبير آخر: علم الادب الذى يهتم الانسان فى دراسته بتحصيل أكبر ثروة لغوية من المفردات ،وتربية تذوقه الفنى وهاتان وسيلتان لتحقيق غاية واحدة هى البيان أو حسن التعبير عن الرأى سواء أكان ذلك باللفظ . أى الخطابة المرتجله الشفوية ،أم كان بالكتابة التحريرية كالكتاب والادباء . وفى كلتا الحالتين ،فأن الادب لايكون مقصودا لذاته بل يظل وسيلة لتحقيق غاية هى التعبير عن المعانى المجردة فى الذهن .

أهداف التعليم عند ابن الاكفانى :

يمكن استنتاج أهداف التعليم عند ابن الاكفانى من خلال آرائه المبثة فى هذه المخطوطة ،ويمكن اجمالها فى :

١- العلم لذات العلم :

ويعد هذا الهدف من الاهداف العامة للتربية الأسلامية ،فالعلم فى نظر الاسلام غاية نبيلة يجب على الانسان أن يسعى الى تحقيقها ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وقد استعرض ابن الاكفانى نصوصا كثيره من الثقافة الاسلامية تحض على طلب العلم وترفع من قدر العلم والعلماء والمتعلمين .

٢ـ <u>الهدف المعرفي</u> :

يبدو من حديث ابن الاكفاني عن تفاوت العلوم في الشرف ،انه يجعل المعرفة هدفا من أهداف التعليم ،فهو يتحدث عن " الحكمة " وانها ضالة المؤمن ، ويستشهد بقوله تعالى : يؤتي الحكمة من يشاء ،ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا " . ويقترب من مفهومه للمعرفة من المفهوم الافلاطوني ،فهو يرى أن من أهداف التعليم " تهذيب الاخلاق " أو بتعبير آخر : الفضيلة .

٣ـ <u>الهدف الاخلاقي للتعليم</u> :

يركز ابن الاكفاني في أكثر من موضع على أهمية العلم والتعليم في بناء الخلق القويم ،فيقول مثلا :

" فانه لا شيء أشنع ولا أقبح بالانسان مع ما فضله الله به من النطق وقبول تعلم الاداب والعلوم والصنائع من أن يهمل نفسه ويعريها من الفضائل " .

ويستشهد على ذلك بمثال يضربه وهو أن الخيل المدربة على الحروب ، والجوارح من الطير (كالصقور) المدربة على الصيد ، ترتفع أقدارها وترتفع أثمانها لامتيازها بالفضائل التي اكتسبتها بالتعليم .

وهو ينقل عن افلاطون مباشرة آراءه المشهورة في النفس الانسانية ،ويركز على أن النفس الناطقة فضيلتها العلم .

كما يدعو في مناسبات كثيرة الى أهمية أن يكون المتعلم على درجة من الخلق الحسن ، ويرى أن من الخير قبض العلم عن غير أهله .

٤ـ <u>الهدف الوظيفي للتعليم</u> :

يشير ابن الاكفاني اشارة عابرة الى أن العلم قد يكون لجلب المنفعة في الدنيا أو في الاخرة ويتسق هذا مع مفهومه للعلم ،وقد أشرنا سابقا الى أنه يعتبر كل العلوم نافعة ـ ولكنه لا يهتم بهذا الهدف ،بل على العكس يحط منه اذا قيس بالاهداف الاخرى فيقول :

" على أنه من تعلم علما للاحتراف لم يأت عالما ،وانما جاء شبيها بالعلماء ،

ولقد كوشت علماء ما وراء النهر بهذا الامر ،ونطقوا به ،ولما بلغهم بناء المدارس ببغداد أقاموا للعلم وأتمـا ... " .

ولعل ابن الاكفانى يبالغ فى هذا التعبير ،أو لعله يريد أن يرفع من قدر جنسيته الفارسية ،فالواقع أن علماء ما وراء النهر (والمقصود بهم علماء الفرس وكان الاسلام يعم جميع بلاد فارس فى ذلك الوقت) . كانوا يتعلمون ويعلمون فى بغداد التى كانت منذ تأسيسها حاضرة العالم الاسلامى ،ولعبت الجامعة المستنصرية دورا بارزا فى تخريج العلماء المتخصصين . كما كان النابغون من الفرس كسيبويه وأبى حنيفه وغيرهما منذ عهد مبكر من الحضارة الاسلامية يعيشون فى العراق ويمارسون أدوارهم التعليمية فى المساجد والحلقات .

وفى هذا المضمار ،نجد أن الاكفانى يحذر من أخذ أجرة على التعليم ، ويرى أن ذلك سبب قوى لان يشتغل بالتعليم الاخساء وأرباب الكسل على حد تعبيره مما يؤدى الى ارغامه ،وهو يقصد بارغام العلم الاشارة الى الاثر المشهور من أن الله لا يقبض العلم بقصد العلم نفسه ،وانما بموت العلماء .

شروط التعليم والتعلم عند ابن الاكفانى :

يحدد ابن الاكفانى اثنى عشر شرطا يسميها " شروط التعليم والتعلم " وهى :

١ـ وضوح الهدف من التعلم :

بمعنى أن يحدد المتعلم فى بداية تعلمة هدفه من التعلم ،وهل العلم الذى يريد تعلمه سيتعلمه لذاته ؟ أم سيتعلمه ليكون وسيلة الى غاية أخرى ؟ وهو يربط هذه الخطوة أو هذا الشرط بمفهوم " النيه " فى الفقة الاسلامى ، فاذا كانت الاعمال بالنيات ، فلا بد من أن تكون نية المرء عند طلب العلم أن ينتفع به سواء فى دينة أو دنياه . ثم يشير الى أن الهدف اذا كان دنيويا صرفا فنادرا ما يتحقق .

٢ـ انتقاء العلم الذى يناسب قدرات المتعلم :

أو بتعبير آخر ، اختيار مادة التخصص ، اختيارا يتلاءم مع قدرات المتعلم أو بتعبير ابن الاكفانى " أن يقصد العلم الذى تقبله نفسه ، وتميل اليه طباعه ولا يتكلف غيره فليس كل الناس يصلحون لتعلم العلم ، ولا كل من يصلح لتعلم العلم يصلح لسائر العلوم " .

٣ـ تحديد قيمة العلم المراد تعلمه :

والمقصود بقيمة العلم كما يظهر من كلامه هو مرتبة العلم الذى يزمع التخصص فيه ، وهدف ذلك العلم ، وهو يقصد ترتيب العلوم وفقا لما يعتقده المتعلم فى هذا المجال .

٤ـ التعمق وبذل الجهد :

ويقصد بهذا الشرط أن يتدرج المتعلم فى العلم الذى يدرسه من أوله الى آخره ، بحيث لا ينتقل من علم الى علم أو من كتاب الى كتاب الا بعد استيعاب الاول استيعابا كاملا .

٥ـ اختيار الكتاب الجيد :

وهناك اعتباران فى اختيار الكتاب الجيد يذكرهما ابن الاكفانى وسط تفاصيل كثيره وأمثله متعدده :

الاول : موضوع الكتاب المراد تعلمه ، وتحديد ما اذا كان كتابا علميا ، أو كتابا أدبيا ، ثم تحديد ما اذا كان كتابا ابداعيا كدواوين الشعراء ، أو تجميعا ككتب التواريخ .

الثانى : مؤلف الكتاب المراد تعلمه ، ويقسم ابن الاكفانى المؤلفين الى فريقين :
الفريق الاول من لهم فى العلم ملكة تامه ، ودرجه كافيه ، وتجارب وثيقة ، وحدس صائب ، واستحضار قريب ، فتصانيف هولاء " على حد قوله تأتى عن قوة تبصره ونفاذ فكر وسداد رأى ، تجمع الى تحرير المعانى وتهذيب الالفاظ " .
والفريق الثانى : من لهم ذهن ثاقب وعبارة طلقة ووقعت اليهم كتب جيده

جمة الفوائد ولكنها غير رائقة فى التأليف والنظم ، فهذ بوها واستخرجوا ما فيها من فائدة ونظموها •

وكأنه يقصد بالفريق الاول من يمكن أن نطلق عليهم " المؤلفين " وبالفريق الثانى من يمكن أن نطلق عليهم " الشراح " أو كتاب الحواشى أو المعلقين • وهو يرى ان كتب الفريق الاول لا يستغنى عنها أحد من العلماء ، على حين تناسب كتب الفريق الثانى طلاب العلم المبتدئين والمتوسطين •

٦ ـ ضرورة الاستعانه بمعلم :

يرى ابن الاكفانى أن من شروط التعليم أن يكون للمتعلم معلم يرشده • ويرجع اليه المتعلم فى كل معضله تقابله ، ذلك لان اعتماد المتعلم على نفسه مدعاة للخطأ وسوء الفهم • وكما يقول ابن الاكفانى " فأن العلم فى الصدور لا فى السطور ، وهذا الشيخ الرئيسى ابن سينا مع جلاله قدره ومكانة من الذكاء والحذق لما اتكل على نفسه وثوقا بذهنه وسلم من سوء الفهم لم يسلم من التصحيف (المقصود بالتصحيف وقوع خطأ كتابى فى الكلمة يتسبب عنه تغير فى معناها ، ويقصد أن ابن سينا لم يسلم من اساءة تفسير بعض قراءاته والتى ثبت فيما بعد انها كانت تحتوى على أخطاء كتابيه (= طباعية بلغة العصر) يترتب عليها تغيير فى المعنى) •

ويحدد ابن الاكفانى بعض المعايير التى ينبغى ان تتوفر عند اختيار المعلم وهى :

أ ـ أن يوضح للمتعلم مرتبه العلم الذى سيقوم بتعليمه اياه •

ب ـ أن يؤدب المتعلم بالاداب اللازمة •

جـ ـ أن يتدرج مع المتعلم فى تعليمة بحسب حاجات المتعلم من جهة وقدراته من جهة أخرى •

د ـ أن يراعى الفروق الفردية لدى طلابه •

٧ ـ المنافسة العلمية بين المتعلمين :

ويشترط ابن الاكفانى ان يهتم المتعلم بمذاكرة العلم الذى يتعلمه مع اقرانه

ونظرائه ولكن بشرط ان يكون هدفه من هذه المذاكرة الاستعانه على الفهم ٠ والتعاون العلمى من أجل الاستفادة والافادة المتبادله ولا يكون الهدف من المذاكرة مع الاخرين هو المغالبة والمكابرة والتنافس غير الشريف ٠

٨ـ نشر المتعلم للعلم الذى تعلمه :

ومن شروط التعلم أن من حصل علما ما ، صار ذلك العلم أمانه في عنقه لا ينبغى عليه تضييعها بالاهمال ،أو بكتمان ذلك العلم عن مستحقيه ٠ ولكن ابن الاكفانى فى هذا الشرط يضيف ضرورة حجب العلم عن غير مستحقيه ٠ وهو لم يحدد لنا من هم الذين يجب حجب العلم عنهم ،ولكنه يستشهد بقول مأثور: " لا تعلقوا الدر فى أعناق الخنازير " ويفسره بأنه يعنى الا توتوا العلوم غير أهلها ٠

ولكننا من مواضع أخرى فى المخطوط نستطيع أن نتبين ما يقصده بمن لا يستحقون العلم ،وهم أولئك الذين يسيئون استخدامه فقد ضرب مثلا فى موضع آخر بعلماء بنى اسرائيل الذين امتهنوا السحر والكيمياء والتنجيم والفلك ،وقد كانت هذه العلوم فى بداية وضعها شريفة الغاية ،حتى أساءوا استخدامها فبدت كما لو كانت غير شريفه ٠

ومن الضرورى فى رأى ابن الاكفانى أن يثبت العالم ما تحصل عليه من علم فى كتب تبقى من بعده تراثا علميا للاجيال التالية وأن يثبت فى تلك الكتب آراءه وملاحظاته على من سبقه من علماء حتى يتواصل العطاء العلمى من جيل الى جيل ولكى لا يقتصر النشر على عصر دون عصر ٠

٩ـ التواضع :

من شروط التعلم عند ابن الاكفانى التواضع بحيث لا يعتقد المتعلم لعلم انه حصل منه على مقدار لا يمكن الزيادة عليه فذلك فى نظر ابن الاكفانى ــ طيبه ــ يوجب الحرمان ،وهو يستعيذ بالله من الحرمان ،ويستشهد بقول الله تعالى : وقل رب زدنى علما " ويقول النبى صلى الله عليه وسلم :

" لابورك فى صبيحة لا أزداد فيها علما " .



١٠ ـ معرفة حدود كل علم :

يقول ابن الاكفانى ان من واجب المتعلم أن يعلم أن لكل علم حدا لا يتعداه ، فلا يتجاوز ذلك الحد كما يقصد اقامة البرهان على علم النحو ولا يقصر بنفسه أيضا عن حدة فلا يقنع بالجدال فى علم الهيئة ..
وظاهرة معنى هذا النص أنه يشير الى أهمية معرفة مجال البحث الذى يتناوله كل علم ، فالقضايا النحوية لا تستند الى البرهان العقلى اذا رجعت الى قواعدها الاولى ، بل تستند الى السماع عن البدو .
وعلم الهيئة " الفلك " لا يجدى فيه الجدال العقلى ، بقدر ما تجدى فيه الملاحظة المبنية على المعرفة الحسية . فاختلاط مناهج البحث أو الجهل بمجال اهتمام علم ما ، يؤدى الى الخطأ فى الفهم وبالتالى الى الخطأ فى النتائج .

١١ ـ التفرقة بين العلوم :

والواقع أن هذا الشرط ـ عدم ادخال علم فى علم آخر ـ امتداد طبيعى للشرط السابق ، ولا يضيف ـ فى رأينا ـ شرطا جديدا من شروط التعليم ، أو التعلم .

١٢ ـ تقدير الاستاذ ورعاية مكانته واحترام الزملاء :

يرى ابن الاكفانى أن من شروط التعليم أن يدرك المتعلم حق استاذه ، ويعامله على أنه أب ، ويستشهد على ذلك بقول الاسكندر حين سئل عن تعظيم معلمه اكثر من والده فقال : ان والده أخرجه الى دار الفناء (أى أتى به الى الدنيا) ومعلمه دله على دار البقاء (أى أن ما استفاده منه من علم أدرك من خلاله ضرورة أن يعمل للاخرة) .

وقد قال شاعر عربى قديم فى هذا المعنى أيضا :

أقدم استاذى على فضل والدى ∴ وان نالنى من والدى العز والشرف
فهذا مربى الروح والروح خالد ∴ وذاك مربى الجسم والجسم من صدف

ويعتبر ابن الاكفانى أن زملاء المتعلم فى التعلم هم أخوة له ينبغى له أن يعرف لهم اخوتهم وأن يراعى حقوق تلك الاخوة ،كما ينبغى للاستاذ ان يعتبر تلميذه ابنا له حقوقه أيضا كما ان لابنه الحقيقى حقوقا عليه .

هذه هى شروط التعلم والتعليم الاثنا عشر التى ذكرها ابن الاكفانى ويمكن أن نستنتج منها الحقائق التالية :

١ـ أهمية تحديد الهدف فى المجال التربوى .
٢ـ مراعاة حاجات المتعلمين وقدراتهم والفروق الفردية بينهم .
٣ـ اختيار المحتوى الجيد فى التعليم .
٤ـ اذكاء روح التعاون بين المتعلمين .
٥ـ مراعاة العلاقات الانسانية فى عملية التربية .

ومنها يتضح ان ابن الاكفانى كان على درجة عالية من الوعى بحقائق العملية التربوية ،وجوانبها المختلفة ،كما انه سبق غيره من مفكرى التربية الغربيين الذين جاءوا بمثل هذه الافكار فى عصور لاحقة .

المنهج عند ابن الاكفانى :

يلوح من كلام ابن الاكفانى انه يوافق سابقيه من المؤلفين العرب على ما درجوا عليه _ فى بداية مصنفاتهم من ذكر الغاية من تأليفها ، وهو يقسم محتوى مقدمة أى كتاب الى ثمانية أقسام ، أو يمكن أن نقول أن للمنهج عنده شروطا هى :

١_ الغرض من وضع الكتاب :

ويعبر ابن الاكفانى عن الغرض بأنه " الغاية السابقة فى الوهم المتأخرة فى الفعل فاذ اكان المؤلف يؤلف كتابا فى علاج الامراض فأن غرضه السابق فى ذهنه هو أن يستفيد منه القارئ ، وهذه الغاية تتأخر من الناحية العملية الى أن يطلع عليه أحد المتعلمين فيحاول تطبيق ما فيه من فائدة .

٢_ المنفعة :

ويقصد بها ما يمكن أن يحظى به المتعلم من فائدة علمية أو عملية أثناء _ أو بعد _ تعلمه لهذا العلم . ولهذه الفائدة أثرها فى حفز همة المتعلم وتشويقه الى الاطلاع على هذا الكتاب .

٣ _ السمة :

ويقصد بها العنوان المعبر عن الموضوع الدقيق الذى يتناوله الكتاب .

٤_ الواضع :

أى مؤلف الكتاب . وأهمية وضع اسمه على غلاف الكتاب أن يعلم القارئ أو المتعلم درجة الثقة به ، ومكانته العلمية ويشترط ابن الاكفانى فى المؤلف الجيد :

(أ) أن يستوفى الغرض الذى وضع الكتاب لاجله تماما .

(ب) أن ألا يزيد فى التفاصيل .

(جـ) أن يهجر الالفاظ الغريبة ، والرمز الا لضرورة .

(د) ألا يدخل علما فى علم آخر .

(هـ) أن يكون دقيقا فى اختيار براهينه فلا يحتج بما يحتاج الى برهان آخر .

(و) أن تكون أفكاره مرتبه ترتيبا منطقيا •

(ز) أن يلجأ الى الايجاز ووضوح التعبير بقدر الامكان •

هذا ،وقد وضح ابن الاكفانى أن الشرطين الاخيرين من هذه الشروط التى ينبغى توافرها فى المؤلف من وضع المتأخرين من العلماء ولكن اختياره اياهما دليل على اقتناعه بأهميتهما •

٥ ـ نوع العلم :

يقصد ابن الاكفانى بنوع العلم أن تحدد عند اختيار الكتاب للتعليم نقطتان :

الاولى : تحديد موضوع العلم •

الثانية : تحديد مكانة الكتاب وأسلوب تصنيفه ،وعلاقته بغيره من الكتب التى كتبت فى هذا العلم •

٦ـ مرتبة الكتاب :

والمقصود بمرتبة الكتاب عند ابن الاكفانى : درجة تخصص الكتاب ،أو بتعبير آخر مكانة الكتاب ،من حيث عمق المحتوى ،فى ترتيب الكتب التى تتناول موضوعه • فلا يجب أن ينتقل المتعلم من كتاب الى كتاب الا بعد أن يتم له فهم الكتاب الاول ، واستيعابه استيعابا تاما ،كما لا يصح له أن يبدأ تعلمه بدراسة كتاب على درجة عالية من التخصص فى ميدانه ،بل يجب أن يسبق ذلك دراسته لكتب مبسطه فى ذات الموضوع •

٧ـ ترتيب الكتاب :

يقصد ابن الاكفانى بترتيب الكتاب فهرسته أو طبيعة تقسيم موضوعاته التى التزمها مؤلفه ويذكر ابن الاكفانى عددا من أنواع التقسيمات التى يلجأ اليها المألفون منها :

- قسمة العام الى الخاص •
- قسمة الكل الى الاجزاء •
- قسمة الكلى الى الجزئيات •

- قسمة الجنس الى الانواع .
- قسمة النوع الى الاشخاص
- قسمة الكلى الى الذاتى والعرضى .

غير أن الملاحظ انه لم يضرب أمثلة لكتب سارت على هذا السبيل في تقسيم موضوعاتها . وان كنا نستطيع أن نشير الى كتابين في التراث هما : كتاب الكامل للمبرد ، وكتاب احياء علوم الدين للغزالى كنموذجين لكتب ذات اطار عام ، تضم في داخلها تقسيمات فرعية عديدة لا تقتصر على النظام المعروف في التقسيم : الابواب والفصول . ولكنها تشمل عديدا من العناوين والتقسيمات الفرعية حتى داخل القسم الواحد .

٨ ـ طرق التدريس عند ابن الاكفانى :

نجد في حديث ابن الاكفانى ما يسمى بأنحاء التعليم وهى خمسة : وتقابل الى حد ما طرق التدريس الحديثة وهى :

أ ـ التقسيم : أى تقسيم العلم (أو الكتاب) على النحو السابق الاشارة اليه . كالابواب والفصول مثلا .

ب ـ التركيب : ويقصد به جمع المعانى المفردة مقدمات تؤدى الى المطلوب وهو تكوين خبر أو علم ما .

جـ ـ التحليل : وهو اعادة كل المقدمات بحيث ينتج عنها دليل يفيد علما بمجهول

د ـ التحديد : ويقصد به ذكر حدود العلم المراد تدريسه لتتحدد تحديدا واضحا يدل على ما يشتمله هذا العلم من فروع .

هـ ـ البرهان : وهو قياس صحيح ينتج عن مقدمات صادقة يوقف منه على الحق اليقين والخبر ، ويضيف ابن الاكفانى ملحوظتين جديدتين بالاشارة اليهما :

أولا : أن البرهان كخطوة من خطوات التدريس تناسب بعض العلوم يسميها الحقيقية ولعله يقصد العلوم الطبيعية) وأما في بعض العلوم الاخرى فيكتفى بالاقناع عن البرهان . وواضح هنا انه يشير الى العلوم النقلية أو العلوم الكمية كالفلسفة والتوحيد .

ثانيا : أنه يركز على أن يبدأ المتعلم بالعلم الاقرب تناولا (المحسوس) ويتدرج منه المتعلم الى ما هو أعلى شيئا فشيئا ٠

منهج البحث عند ابن الاكفانى :

يمكن ابراز أهم سمات منهج البحث عند ابن الاكفانى فى النقاط التالية :

أولا : اهتمامه بالمنطق :

ان الترتيب المنطقى للافكار ، وتسلسلها ، والتدليل على ما يحتاج الى دليل ، وتضعيف ما يلوح منه الضعف ، من خصائص اسلوب ابن الاكفانى التى يمكن ملاحظتها لمن يقرأ كتابته ٠ وهو فى هذا المخطوط يعلى من شأن المنطق ويرفض رأى من يراه من العلوم الساعدة ، ويستدل على ذلك بأن علم الهندسة آله لغيره (= علم مساعد لغيره أو وسيلة) فهو آله لعلم الهيئة (= الفلك) ومع ذلك فأن الهندسية علم فى حد ذاتها ٠ وكذلك المنطق وان كان وسيلة الى غيره من العلوم فأنه علم فى نفسه ومن وظائفه التى يذكرها ابن الاكفانى تحت مسمى " منفعته " :

أ ـ أنه مفتاح العلوم العقلية ٠

ب ـ انه ميزان المعانى ، ونسبته الى المعانى كنسبة النحو الى اللفظ والعروض الى الشعر ٠

جـ ـ أن المنطق هو معيار العلم ويستدل هنا بقول الامام الغزالى " من لا معرفه له بالمنطق لا ثقة بعلمه " ٠

د ـ من العلوم التى تشحذ الذهن وتلقح الفكر ٠

هـ ـ يرشد الى طرق معرفة الحدود وأنواع الحجج البرهانية ٠

و ـ بالمنطق يمكن التحرر من الغلط فى التصورات والتصديقات ٠

ثانيا : مناقشته فى نظرية المعرفة :

تبدو فى المخطوط لمحات لاهتمام ابن الاكفانى بالمعرفة وكيفية تحصيلها ، ويمكن الاستدلال على هذا الاهتمام بما يلى :

أ- من مفهومه للعلم يتضح لنا انه يفرق بين نوعين من العلوم :

أ / ١- العلوم التى يمكن تحصيلها بالمعرفة الحسية أو على حد تعبيره " بسترود الاذهان فى موجودات الاعيان " وهى العلوم الطبيعية التى يمكن اكتسابها بالملاحظة والحس والترتيب .

أ / ٢- العلوم التى يمكن تحصيلها بالارادة والطلب والبحث والتأمل وأعمال الفكر وهى العلوم العقلية .

وقد سمى النوع الاول : العلم التجريبى ، وسمى النوع الثانى العلم القياسى ، ومنه يتضح أنه يرى أن هناك نوعين من المعرفة هما : المعرفة الحسية ، والمعرفة العقلية .

ب- من حديثه فى العلوم الألهية ، وتعرضه لكتابات الصوفيين كابن عربى وابن طالب المكى والسهروردى وغيرهم ، يتبين لنا عدم انكاره للمنهج الصوفى فى المعرفة والذى يعتمد على الذوق . ويعبر عن هذا بقوله " وأكرهم (أى الصوفية) يصل الى أمور ذوقية يكشفها له العيان تجل عن أن توصف بلسان فلا يقوم عليها دليل غير الوجدان " .

ومن هنا يتبين أنه لاينكر المعرفة الذوقية والتى غالبا ما تعتمد على الوحى كمصدر من مصادر المعرفة الروحية .

جـ- يؤكد ابن الاكفانى أهمية الامانة العلمية كأساس من اسس منهج البحث ، ويبدو ذلك تطبيقيا عند نسبته كل رأى الى صاحبه ، وكل كتاب الى مؤلفه . مع أنه كان موجودا فى عصر لم يبرأ مؤلفوه من السطو على آراء سابقيهم أو اقتباسها دون اشارة الى ذلك . هذا من جهة الامانة العلمية التأليفية ، وأما من جهة الامانة العلمية الفكرية ، فأننا نجد ابن الاكفانى فى موضع كبيره يتحرج من ابداء رأيه ففى مسألة كمسألة الفرق الاسلامية وانقسام الامة الى فرق كثيره ، يذكر ابن الاكفانى بعض المؤلفات التى تناولت تلك الفرق ككتاب الملل والنحل للشهرستانى وغيره ، ثم يعقب على ذلك بقوله " أما انها الفرق التى أرادها النبى صلى الله عليه وسلم فما لا نعلمه يقينا ، لكننا نذكر ما ذكروه فى كتبهم ملخصا .

ويستطرد بعد ذلك بشكل محايد فى ذكر الفرق وآرائها الفكرية وخلافاتها المذهبية ٠ وان كنا قد لاحظنا أنه أوجز عند ذكر معظم الفرق وأطنب الى حد ما عند ذكر فرق الشيعة ٠ الامر الذى دعانا فى مقدمة البحث الى توقع أنه كان متعاطفا مع الشيعة ٠

د ـ فى مواضع كثيرة من المخطوط يهتم ابن الاكفانى بالحديث عن أخلاقيات العالم والمتعلم وأهمية أن يكون الخلق الحسن صفة ملازمة لطالب العلم ٠ وأن تكون العلاقات الانسانية بين المتعلم وأستاذه قائمة على الادب الرفيع ٠ وبين المتعلم وأقرانه قائمة على التعاون والاحترام المتبادل ٠ وهذه أمور لازمة بلا شك للباحث العلمى ٠

النصُّ المحقَّق

ملحق البحث

ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد

لابن الاكفاني

تحقيق وتعليق

دكتور

مصطفى رجب

كلية التربية بسوهاج – جامعة أسيوط

" بسم الله الرحمن الرحيم "

وبه التوفيق والاعانة

قال العبد الفقير الى الله تعالى الواحد البارى ،محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى: الحمد لله الذى خلق الانسان وفضله على سائر[1](أنواع)[2] الحيوان بالنطق والبيان ٠ والصلاة (والسلام)[3] على رسوله محمد سيد بنى عدنان ٠ (وعلى آله أئمة[4] الهدى ومصابيح الايمان) ٠ وبعد ،

فأن بنا حاجة الى تكميل نفوسنا البشرية ،فى قواها النظرية والعملية ، اذ كان ذلك هو الوسيلة الى السعادة الابدية ٠ ولما كان هذا انما يتم بالعلم بحقائق[5] الاشياء على ما هى عليه ليعتقد الحق ويفعل الخير ،وجب علينا أن نعلم العلم المتكفل بتحقيق الحقائق[6] وما هو اليه كالوسائل[7] وما يشتمل على بيان ما يجب أن يقصد من الفضائل[8] ،ويجتنب من الرذائل[9] ،فأردت أن اذكر فى هذه الرسالة أنواع العلوم على التفصيل ليتبين منها هذا الغرض ،ويستفاد منها أمور (أوخر)[10] بالعرض ،

الاول : تشويق الانفس الزكية الى الكمالات الانسانية فأنه لا شئ أشنع ولا أقبح بالانسان مع ما أفضله الله به من النطق وقبول تعلم الاداب والعلوم والصنائع[11] من أن يهمل نفسه ويعريها من الفضائل[12] ٠ كيف وهو يرى أن الخيل المدربة على

---

(١) فى الاصل : ساير
(٢) ساقطة من ط
(٣) ساقطة من خ
(٤) ما بين العلامتين ( ) ليس فى ط ،وأئمة فى الاصل : أيمة ٠
(٥) فى الاصل : بحقايق
(٦) " " : الحقايق
(٧) " " : (كالوسايل)
(٨) " " : الفضايل
(٩) " " : الرذايل
(١٠) ليست فى ط
(١١) فى الاصل : الصنايع
(١٢) " " : الفضايل

الحروب والجوارح المعلمة ترتفع أقدارها ويتغالى[1] في أثمانها لامتيازها بالفضائل المكتسبة .

الثاني : أن الانسان اذا أراد أن يتعلم علما أو ينظر فيه علم ماذا[2] يستفيده منه فيكون على بصيرة من أمره وتقدمه ومعرفته .

الثالث : أن يعلم حال كل علم من العلوم في نفسه ومرتبته بالنسبة الى غيره من العلوم وحال العالم به وهل يستفاد به كحال نافع في المعاد أو ادب يفيده في المعاش أو غير ذلك .

الرابع : أن يقايس بين العلوم فيعلم أيها أفضل وأشرف وأيها اتقن[3] وأوثق وأيها أوهن وأوهى وسيأتي لهذا مسبار يعرف به

الخامس : معرفة حال من يدعي علما من العلوم وكشف دعواه هل يخبر خبرا تفصيليا عن موضوع ذلك العلم وغايته ومبادئه ومسائله ومرتبته في العلوم فيحسن الظن به فيما ادعاه .

السادس : أن يعلم المتأدب المتقن[4] الذي قصده أن ينشد جليات العلوم وظواهرها[5] على سبيل المشاركة ما المقدار القصد منه .

السابع : تمكن من أراد من ذوي الرتب أن يتشبه بأهل العلم كمالا لرفعته وعلوا لمرتبته[6] ، وأقدم مقدمة تشتمل على شرف العلم (والعلماء)[7] وشروط التعليم والتعلم وأسمي هذه الرسالة ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد ، وعزمي ان شاء الله تعالى أن أبسط القول في العلوم الخفية ، وأختصر في العلوم الجلية تحقيقا وتخفيفا

---

(١) في ط : ويغالى .

(٢) في ط : ما يستفيده

(٣) في ط : أيقن

(٤) في ط : المتفنن

(٥) في خ : ان يشدوا جمليات وفي ط : أن يحصل جليات العلوم وظواهرها ولعل الصواب أن ينشد جليات . .

(٦) في ط : وعلو مرتبته .

(٧) ساقطة من ط .

والله أسأل أن يهدى الى الحق ويعصم من الضلالـة .

القول فى شرف العلم والعلماء :

كفى العلم شرفا أن الله تعالى وصف به نفسه ومنح به أنبياء وخص به أوليـاء وجعله وسيلة الى معرفته وسببا الى الحياة الابدية والنجاة من الشقاوة السرمديـه ، والفوز بالسعادة الاخروية وجعل العلماء تلو ملائكته من الاقرار بربوبيته[1] والاختصاص بـ معرفته وورثة الانبياء ،فالعلم أشرف ما ورث عن أشرف موروث[2] وكفاك دليلا علـى شرفـه قوله تعالى : " الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهـن (لِتَعْلَمُوا) "[3] فجعل الغاية من ذلك[4] العلم .

وقال تعالى : " انما يخشى الله من عباده العلماء "[5] وقال تعالى : " وما يعقلهـا الا العالمون "[6] ،وقال تعالى : " هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون "[7]

وناهيك بهذا شرفاً ونبلاً ، وجاء عن خير البشر " ان طلب العلم فريضة عـلى كل مسلم "[8] وعن على (عليه السلام)[9] العلم خير من المال ،العلم يحرسك وأنت تحرس المال ،والمال تفنيه[10] النفقـة ،والعلم يزكوا على الانفاق ،محبة العالم ديـن يدان به ،العلم يكسب صاحبه[11] الطاعة لربه فى حياته ،وجميل الاحدوثه بعد وفاتـه

---

(١) يشير بهذا الى قوله تعالى " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العـلم قائما بالقسط " سورة آل عمران " آيه ١٨ .

(٢) وهو النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

(٣) ساقطة من ط ،وسورة الطلاق ، آيه ١٢ .

(٤) المشار اليه هنا ليس العلم ،والمعنى أن الله خلق ما خلق ليعلم الناس ما أراد أن يعلموا . وتكملة الآية لتعلموا عدد السنين والحساب ، وواضح أنه ابتسر المعنى .

(٥) سورة فاطر آيه ٢٨ .

(٦) سورة العنكبوت آيه ٤٣ .

(٧) سورة الزمـر آيه ٩ .

(٨) رواه ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقى . يراجع فى هذا ،احيـاء علوم الدين للغزالى جـ ١ ،طبعة ،دار المعرفة بيروت ،ص ٢

(٩) هكذا فى الاصل ، أما فى ط فتوجد جملة رضى الله عنه بدلا من عليه السـلام وقد اثبتنا الاصل استنادا الى أن المصنف قد يكون شيعيا كما انها مكررة فـى أكثر من موضع من المخطوط .

(١٠) فى خ : يفنيه .

(١١) هكذا فى ط ،وفى خ : يكسبه العلم الطاعه لربه . وهو كلام ناقص .

و منفعة المال تزول بزواله . العلم حاكم والمال محكوم عليه . مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم [1] مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة ، اذا مات العالم انثلم بموته ثلمة فى الاسلام .

ومن كلام أفلاطون : اطلُب العلم تعظّمْك الخاصة ، واطلب المال تعظمك العامة واطلب الزهد يعظمك الجميع ، والعلم كل أحد يؤثره والجهل ضده وكل أحد يكرهه وينفر منه ، ولأن الانسان انسان بالقوة مالم يعلم ولا يجهل جهلا مركبا . فاذا علم (العلم) [2] صار انسانا بالفعل عارفا بربه ، مستحقا لجواره وقربه ، واذا جهل جهلا مركبا صار حيوانا (تاما) [3] بل الحيوان خير منه ، قال الله تعالى : "أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون أن هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا " [4] .

واعلم انه تبين فى علم الاخلاق أن الفضائل الانسانية التى هى الامهات أربع وهى العلم والشجاعة والعفة والعدل ، وما عدا هذه فهى فروع (عنها) [5] وترتد اليها ، فالعلم فضيلة النفس الناطقة ، والشجاعة فضيلة النفس الغضبية ، والعفة فضيلة النفس الشهوانية ، والعدل فضيلة التقسيط [6] وهو عام فى الجميع .

ولا شك أن النفس الناطقة أشرف هذه ، ففضيلتها أشرف ، وأيضا أن تلك لا تتم ولا توجد كاملة ، الا بالعلم ، والعلم يتم ويوجد كاملا بدونها فهو مستغن عنها وهى مفتقرة اليه فيكون [7] أشرف .

وأيضا أن هذه الفضائل الثلاث قد توجد لبعض الحيوانات العجماوات والعلم

---

(١) أعيانهم : جمع عين ، عين الشيء حقيقته ، يقصد انهم مفقودون أجسادا موجودون ذكرا .

(٢) ساقطة من خ

(٣) فى خ : صار حيوانا ما

(٤) سورة الفرقان آيه ٤٤

(٥) فى خ : عليها ، واستخدام عن فى هذا المجال أفضل . وهكذا وردت فى ط .

(٦) التقسيط هنا بمعنى العدل فى الحكم ، وعدم التحيز .

(٧) فى ط : فتكون ، والصواب ما اثبتناه .

يختص بالانسان وتشاركه فيه الملائكة[1] ، ومنفعة العلم باقية على وجه الدهر كما جاء عند خير البشر " اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ،أو ولد بار أو علم ينتفع به ".[2]

والعلوم مع اشتراكها فى الشرف تتفاوت فيه ،فمنها[3] ما هو بحسب الموضوع كالطب فأن موضوعه بدن الانسان ولاخفاء بشرفه ومنها ما هو بحسب الغاية كعلم الاخلاق فأن غايته معرفة الفضائل الانسانية ونعمت الفضيلة . ومنها ما هو بحسب الحاجة اليه كالفقه ،فان الحاجة اليه ماسة . ومنها ما هو بحسب وثاقة الحجج كالعلوم الرياضية فأنها برهانية يقينية .

ومن العلوم ما يقوى شرفه (باجتماع)[4] هذه الاعتبارات[5] فيه أو اكثرها كالعلم الالهى فأن موضوعه شريف وغايته فاضلة والحاجة اليه مهمة .

واعلم أنه لا شئ ولا واحد من العلوم من حيث هو[6] علم بضار ،بل نافع ، ولا شئ من الجهل من حيث هو جهل بنافع ،بل ضار . لأنا سنبين فى كل علم منفعة اما[7] فى أمر المعاد أو المعاش أو الكمال الانسانى وانما توهم فى بعض العلوم أنه ضار أو غير نافع لعدم اعتبار الشروط التى يجب مراعاتها فى العلم والعلماء .

فأن لكل علم حدا لا يتجاوزه ،ولكل عالم ناموسا[8] لا يخل به فمن الوجوه المغلطة أن يظن بالعلم فوق غايته كما يظن بالطب انه يبرئ جميع الامراض وليس كذلك . فأن منها ما لا يبرأ بالمعالجة .

---

(١) لعله يقوله أن الملائكة تشارك الانسان فى الاختصاص بالعلم ،يشير الى قوله تعالى " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط " سورة آل عمران ،آية ١٨

(٢) هذا حديث أخرجه الامام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة .

(٣) فى خ : فمنه .

(٤) ساقطة من ط .

(٥) فى ط (العبارات)

(٦) فى ط من حيث أنه

(٧) فى خ : منفعة ما .

(٨) فى ط : ناموس .

ومنها أن يظن بالعلم فوق مرتبته في الشرف كما يظن بالفقه أنه أشرف العلوم على الاطلاق وليس كذلك ، فان علم التوحيد أشرف منه قطعا ، ومنها أن يقصد بالعلم غير غايته كمن يتعلم علما للمال أو الجاه . فالعلوم ليس الغرض منها الاكتساب بل الاطلاع على الحقائق وتهذيب الاخلاق .

على أنه من تعلم علما للاحتراف لم يأت عالما ، انما جاء شبيها بالعلماء ، ولقد كوشف علماء ما وراء النهر بهذا الامر ونطقوا به لما بلغهم بناء المدارس ببغداد ، أقاموا [1] مأتما [2] للعلم (و) [3] قالوا : كان يشتغل به أرباب الهمم العالية والانفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به فيأتون علماء ينتفع بهم وبعلمهم ، واذا صار عليه أجره تدانى اليه الاخساء وأرباب الكسل فيكون ذلك سببا لارتفاعه [4] .

ومن ها هنا هجرت علوم الحكمه وان كانت شريفه لذاتها . قال الله : " يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت [5] الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا " [6] . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الحكمة تزيد الشريف شرفا " [7] . وقال عليه السلام " نعم الهديه الكلمة من الحكمة " [8] . وقال علي (عليه السلام) [9] الحكمة ضالة المؤمن فاطلب ضالتك ولو في أهل الشرك . أي أن المؤمن يلتقطها حيث وجدها لاستحقاقه اياها . وقال

---

(١) في ط : فأقاموا للعلم ماتما .
(٢) في خ : أقاموا مأتم العلم .
(٣) ليست في خ
(٤) الارتفاع في العلم يأتي بمعنى زواله وليس المقصود متصلا بمعاني الرفعة والعلو والتكريم .
(٥) في ط : يؤتى ، والصواب ما أثبتناه .
(٦) سورة البقرة آيه ٢٦٩ .
(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية . انظر الاحياء واحده
(٨) نص الحديث : " نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها الى أخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنه " أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس باسناد ضعيف . الاحياء ، جـ١ ، ص ١٠
(٩) هكذا في خ ، أما في ط فقد استبدل بـ عليه السلام " رضى الله عنه " .

عليه السلام[1] " من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار " ومن الامور الموجبه للغلط أن يمتهن العلم بابتذاله الى غير أهله كما اتفق فى علم الطب فانه كان فى الزمن القديم حكمة موروثه عن النبوه فهزل لما تعاطاه بعض سلفه[2] اليهود فلم يشرفوا به بل رذل بهم . وما أحسن قول أفلاطون أن الفضيله تستحيل فى النفس الرديه رذيلة كما يستحيل الغذاء الصالح فى بدن[3] السقيم الى الفساد والاصل فى هذا كلمة النبوة القديمة " لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم "

ومن هذا القبيل الحال فى (علم)[4] أحكام النجوم ،فانه لم يكن يتعاطاه (الا)[5] العلماء به للملوك[6] ونحوهم . فرذل حتى صار لا يتعاطاه غالبا الا جاهل مخرج يروج أكاذيبه لسحت[7] لا يسمن ولا يغنى من جوع .

ومن الوجوه المغلِّطة أن يكون العلم عزيز المنال رفيع المرقى قلما تتحصل[8] غايته ويتعاطاه من ليس من أكفائه[9] لينال بتمويهه عرضا[10] دنيا كما اتفق فى علوم الكيمياء والسيميا والسحر والطلسمات ،وأنى لا عجب ممن يقبل دعوى من يدعى علما من هذه العلوم لديه ،فان الفطرة[11] السليمة قاضية بأن من يطلع على ذنابه[12] من (أسرار)[13] هذه العلوم يكتمها عن والده وولده . فما الداعى لاظهارها وكشفها

---

(١) هكذا فى النسختين ،ومعنى تركها على حالها فى النص المطبوع يفيد أن الطابع يريد نسبتها الى الرسول .

(٢) فى خ : محشفه . ومادة ح ش ف فى اللغة تدل على الرداءة فلم يبعد كثيرا عما ورد فى ط وهو : سفله وقد أثرناها لتقارب المعنيين وسهولة الاخير .

(٣) فى ط : البدن .

(٤) ساقطة من خ . وعلم أحكام النجوم هنا المقصود به التنجيم ومعرفة الطالع .

(٥) ساقطه من ط

(٦) فى خ الملوك وما أثبتناه هو الاقرب للصواب .

(٧) السحت : المال الحرام .

(٨) فى خ يتحصل ،وكلتا الكلمتين صحيحة لغويا .

(٩) فى خ : اكفاية .

(١٠) فى خ : غرضا والمعنيان متقاربان .

(١١) فى خ : الفطر : وهى بكسر الفاء وفتح الطاء جمع فطرة بكسر الفاء وسكون الطاء .

(١٢) فى ط : ذبابة .

(١٣) ساقطة من ط

أو الباعث عليه ؟ فلتعتبر هذه الامور وأمثالها .

القول في التعليم والتعلم وشروطهمــــا

كل تعليم وتعلم ذهني فانما يكون بعلم سابق في معلوم ما . ومن عالم لمــن[1] ليس بعالم لما ليس بمعلوم[*] وقد يكون بالطبع وتفيده وقائع الزمان بتردد الاذهـــان في موجودات الاعيان وأحوالها .والحاصل عنه يسمى علما تجريبيا .

وقد يكون بالارادة ويفيده الطلب والبحث واعمال الفكر والحاصل عنه يسمى علمــا قياســيا .

والعلم محصور في التصور والتصديق .والتصور يطلب بالاقاويل الشارحة مـــن الحدود والرسوم[2] ونحوها .وقد تعقل حقيقة الشئ .وقد تتخيل بمثاله . والتصديــق يكون عن أشياء (هي) [3] مقدمات في أشياء هي صور القياسات لاشياء هي نتائج وقــد يحصل بها اليقين . وقد لا يحصل الاقناع.[4]

وقدم العلماء في التعليم العلم الاقرب تناولا [**] ليكون سلما لغيره . ولم تــزل

---

(١) في ط : من عالم كمن ليس بعالم . ولا معنى له . والصواب ما ذكرناه .

(*) هذا هو مفهوم عملية التعليم عند المصنف .وهو بعبارة أخرى عملية نقل عــلم (= معلوم ما) من عالم (= معلم) لمن ليس بعالم (= ملتقى) وجملة (لمــا ليس بمعلوم) أي عملية نقل علم ليس معلوما بالنسبة للمنقول اليه .

(٢) يقصد المصنف بالحدود : وضوح أهداف العلم (أي علم يدرس) وغاياته ومصطلحاته لدى المعلم . ويقصد بالرسوم .ما قد يستدعيه تعليم بعض العلوم كالجغرافيــا والهندسة من رسوم توضيحية .

(٣) ساقطة من ط .

(٤) في خ الا اقناع . وهو خطأ كتابي في النسخ .

(**) لم يبتعد المصنف كثيرا هنا عما يذهب اليه خبراء التربية المعاصرون من ضـرورة ترتيب الحقائق العلمية على اساس البدء بالمحسوسات (= الاقرب تناولا) ثــم التدرج نحو التجريد على نحو ما نجده في مخروط الخبرة لادجار ديل E. Dale

سنه العلماء (القدماء) [1] جارية فى تعليم العلوم مشافهة دون كتابة [2] فلا يصل علم الى غير مستحقه ، ولكثرة المشتغلين بالعلوم (وقتئذ) [3] وحرصهم على تحصيلها وحفظها استمرت فيهم ، فلما ضعفت الهمم وقصرت ، انقرض بعض العلوم فأخذ من (بقى من العلماء فى تدوين العلوم فى الكتب) [4] لتبقى العلوم ولا تبيد ، وضنوا ببعضها خوفا أن يقع الى غير أهله [5] ، فاستعملوا فى (بعضها) [6] الرمز فاقتصروا من الدلالات الثلاث على (دلالة) [7] الالتزام دون المطابقة والتضمن ومن عرف مقاصدهم وأيد بعصمة الهية حصل على اغراضهم . ورتبوا فى صدر كل كتاب تراجم [8] تعرب عنه [9] سموها الدروس وهى ثمانية :

الغرض ، والمنفعة ، والسمة ، والواضع ، ونوع العلم ، ومرتبة ذلك الكتاب وترتيبه ، ونحو التعليم المستعمل فيه .

فأما الغرض فهو الغاية السابقة فى الوهم المتأخرة فى الفعل . وأما المنفعة فما يحصل للنفس من الفائدة ليتشوقه [10] الطبع . وأما السمه فالعنوان الدال (بالاجمال) [11] على ما يأتى تفصيله . وأما الواضع [*] فيذكر ليعلم قدره ويوثق بالاخذ عنه . واشترطوا عليه أن [12] يأتى بالغرض الذى وضع الكتاب لاجله تاما من غير [13] زيادة عليه .

---

(١) ساقطه من ط

(٢) فى خ كتاب

(٣) ساقطة من خ

(٤) هذا هو النص فى خ ، وقد ورد فى ط هكذا (بقى فى تدريس العلوم فى الكتب) وقد اخترنا اثبات ما يدل على مقصد المصنف كما يبدو من السياق .

(٥) فى ط : تقع الى غير أهلها .

(٦) فى ط : وضعها .

(٧) ساقطة من ط

(٨) فى ط : تراجما ، وهو خطأ نحوى فالكلمة ممنوعة من الصرف .

(٩) فى ط : عنها ، وهو خطأ نحوى : اذ ان الضمير فيها عائد على الكتاب .

(١٠) فى ط : ليشوقه .

(١١) ساقطة من ط

(*) يقصد بالواضع : واضع العلم أو أول من تكلم فيه كالخليل بن احمد بالنسبه لعلم العروض ، وابى الاسود الدؤلى بالنسبة لعلم النحو وهكذا . .

(١٢) فى ط : بأن

(١٣) فى ط : بغير .

وأن يهجر اللفظ الغريب وأنواع المجاز اللهم الا في الرمز . ونهوا عن ادخال علم في علم آخر وعن الاحتجاج بما يتوقف بيانه على المحتج به عليه لئلا يلزم الدور(*) وزاد المتأخرون اشتراط حسن الترتيب ووجازه اللفظ ووضوح دلالته .

وأما نوع العلم الموضوع ثم فليعلم مرتبته ويقصد . وقد يكون الكتاب مشتملا على نوع ما من العلوم فتذكر جملة مسائلة . وقد يكون جزءا من اجزائه فيفرد ذلك الجزء ، وقد يكون مدخلا الى ذلك العلم فقط .

وأما مرتبة الكتاب ، فهو متى يجب أن يقرأ (و)[1] هل يبدأ به ، أو يتقدم عليه غيره ، وأما ترتيبه فقد يكون الكتاب نسقا واحدا فيسرد سردا متصلا وقد يتفنن فتذكر فنونه ، وقسمته بالجمل والمقالات وقسمتها بالابواب والفصول ونحوها .

والقسمة المستعمله في العلوم أصناف فمنها قسمة العام الى الخاص وقسمة الكل الى الاجزاء ، وقسمة الكلي الى الجزئيات كقسمة الجنس الى الانواع وقسمة النوع الى الاشخاص . وهذه قسمة ذاتي الى ذاتي . وقد يقسم الكلي الى الذاتي والعرضي وقد يقسم الذاتي الى العرضي كالانسان الى أبيض وأسود (والعرضي الى الذاتي كالابيض الى انسان وغيره)[2] والعرضي الى العرضي كالابيض الى الطوير والقصير(**)

والتقسيم الحاضر هو المتردد[3] بين النفي والاثبات . .

(*) الدور ، هو التسلسل الذي لاينتهي . وهو ملحظ هام من ملاحظات القدماء في علوم كثيرة كالكلام وأصول الفقه . والمصنف هنا ينهى عن استخدام الحجة التي يتوقف التسليم بها على مدى سلامتها هي نفسها ، لان هذه الاخيرة في حاجة الى حجة جديدة وهكذا ، لاينتهي التسلسل الى غاية فيصير جهد العلماء عبثا لا طائل من ورائه .

(١) ساقطة من خ .

(٢) ساقطة من ط .

(**) لعل المصنف يقصد هنا تبويب كل علم وتصنيف كل مجموعة من مسائل أو قضايا في محور يجمعها جميعا . وهو يستفيد هنا ـ كما هو واضح من لغته ـ بمناهج المناطقة .

(١) في خ " المردد " .

وأما نحو التعليم المستعمل فيه فهو بيان الطريق المسلوك في تحصيل الغاية وأنحاء التعليم خمسة : التقسيم وقد ذكر ، والتركيب وهو جعل القضايا مقدمات تؤدي الى المطلوب ، والتحليل وهو اعادة تلك[1] المقدمات ، وانما يذكر الانتقاد والتحديد وهو ذكر الاشياء بحدودها الدالة على حقائقها دلالة تفصيلية . والبرهان وهو قياس صحيح عن مقدمات صادقة يوقف منه على الحق اليقين ، والخبر وانما يمكن استعماله في العلوم الحقيقية (و)[3] أما ما عداها فيكتفى بالاقناع والله الهادي الى الصواب .

وأما شروط التعليم والتعلم فهي اثنا عشر[4] شرطا :

الاول : أن يكون الغرض انما هو تحقق ذلك العلم في نفسه ان كان مقصودا لذاته . أو التوسل به الى ما وضع له ان كان وسيله الى غيره دون المال (أو)[5] الجاه (أو)[6] المغالبة والمكاثرة[7] . بل تلك الغاية وثواب الله تعالى .[*]

تكثير[8] من نظر في علم لغرض فلم يحصل ذلك العلم ولا ذلك الغرض ، ولما لزم الغزالي[9] رحمه الله الخلوة أربعين [يوما رجاء للحكمة عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم " من أخلص لله أربعين][10] صباحا فجر الله ينابيع الحكمة من قلبه على

---

(١) في ط " كل " والصواب ما أثبتناه .
(٢) في ط " الخير " ولا معنى له .
(٣) ساقطة من ط
(٤) في ط اثنى . وهو خطأ لغوى
(٥) في ط " و "
(٦) في ط " و " .
(٧) في ط " والمكابره " ولعل الصواب المكاثرة استنادا الى ورودها مع المال والجاه والمغالبة ففي القرآن الكريم " اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينه وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد .. " الحديد : ٢٠
(*) أي أن الثواب يتحقق الى جانب تحقق الغاية الاساسية من العلم التي ذكرها المصنف .
(٨) في ط وكثر .
(٩) هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥ هـ .
(١٠) ما بين المعقوفتين [ ] ساقط من ط .

لسانه " ولم ير لذلك أثرا فتعجب[١] فرأى فى المنام[٢] " انك لم تخلص لله (و)[٣] ، انما أخلصت لطلب الحكمة " فالاعمال بالنيات وانما لكل أمرئ ما نوى .

الثانى : أن يقصد العلم الذى تقبله نفسه وتميل الى طباعة ولا يتكلف غيره ، فليس كل الناس يصلحون لتعلم العلم ولا كل من يصلح لتعلم العلم يصلح لسائر العلوم بل كل ميسر لما خلق له .

الثالث : أن يعلم أولا مرتبة العلم الذى أزمع عليه ، وما غايته وأنه متى يجب أن يقرأ ؟ وكيف ذلك ؟ ليكون على بينه من أمره .

الرابع : أن يأتى على ذلك العلم مستوعبا لمسائلة من مبادئه الى نهايته سالكا فيه الطريق الاليق به من تصور وتفهم واستثبات بالحجج بحسبه .[٤]

الخامس : أن يقصد فيه الكتب الجيدة والكتب المصنفة على قسمين علوم وغير علوم ، وهذه اما أوصاف حسنه وأمثال سائرة ونحوها فيدها النظم بالتقفيه[٥] والوزن وهى دواوين الشعراء .[٦] وأما أخبار وسير مرسلة ، وهى كتب التواريخ .

والشعراء المفلقون اثنان : أحدهما المخترع للمعانى البديعة وهذا أحق (الناس)[٧] باسم مشاعر (لشعوره)[٨] بالمعنى الحسن لاسيما ان اكساه لفظا رائعا وهو أعلى الطبقات . وثانيهما المولد من المعنى المخترع معنى حسنا وهو تلو الاول فى الطبقة اذا أحسن الاخذ والتوليد وظهر (تلطفه)[٩] فى مغايرة الفرع

---

(١) فى خ أثر تعجب ، وما نقلناه عن ط أقرب الى الصواب .

(٢) يقتضى السياق هنا وجود جملة لم ترد فى أى من النسختين مثل (فرأى فى المنام "من يقول له انك ... الخ) ليتم بها المعنى .

(٣) ساقطة من خ .

(٤) فى خ بحبه ، وفى ط ما أثبتناه ، ولعله يقصد الحجج التى تناسب كل علم على حده ، أو يأخذ من الحجج حسب حاجة العلم اليها .

(٥) فى خ بالتفقيه . وهو تصحيف .

(٦) فى خ " الشعر " .

(٧) ساقطة من ط

(٨) ساقطة من ط وجاء مكانها " الشعور " ولا معنى له .

(٩) فى ط " تلفظه " والاقرب الى الصواب ما أثبتناه .

للاصل فربما أربى [1] الثانى على الاول . وأما غير هذين فوزان [2] لا شاعر (لانــه) [3] ان أخذ معنى غيره (بحالة) [4] فسارق وان أخلى نظمه من المعانى الحسنه خـرج جسداً بغير روح .

ودواوين الشعراء العربية كبيرة جدا وقد وقع الاختيار على مجاميع مـن محاسنها [5] فمنها "نهاية الارب فى أشعار العرب" [6] يشتمل على الف قصيـدة مختاره ، ومنها المجموع المشهور بالحماسة اختيار ابى تمام الطائى [7] ، فيه من المقاطيع والقصائد الجيدة ، ما يروق الناظر ويسر الخاطر ، ووضع بأزائها الحماسة البصرية [8] ، وهى حسنه الترتيب والاختيار .

---

(١) أربى : زاد .
(٢) فى ط فوازن .
(٣) ساقطة من ط .
(٤) ساقطة من ط .
(٥) أى وقع الاختيار على مجموعات اهتم مؤلفوها باختيار أحسن القصائد وهذا النوع من التأليف مشهور فى التراث الشعرى القديم ومنه جمهرة أشعار العرب لابـى زيد القرشى (ت ١٧٠ هـ تقريبا) ، المفضليات للمفضل الضبى (ت ١٧٨ هـ) ، والاصمعيات للاصمعى (ت ٢١٦ هـ) .
(٦) لم نعثر على كتاب بهذا الاسم . وهناك كتاب النويرى (شهاب الدين (ت ٧٣٣هـ) واسمه "نهاية الارب فى فنون الادب" ونستبعد ان يكون هو المقصود لاسبـاب منها أن النويرى كان معاصرا للمصنف ويبدو ان كليهما كان متصلا بالسلطـان الناصر بن قلاوون ، وتاريخ وفاه النويرى يسبق كتابة المخطوط الحالى بعام واحد ، ومنها أن المصنف ذكر هذا المؤلف بعنوان يخالف العنوان الذى يعرف بـه كتاب النويرى ، ومنها أن كتاب النويرى يتحدث عن فنون مختلفه وليس من مجاميـع الشعر المعروفه ، وأخيرا ، لان المصنف ذكر هذا الكتاب سابقا للحماسة وأبـو تمام سابق على عصر النويرى بعده قرون .
(٧) أبو تمام صعيب بن أوس الطائى (ت ٢٣١ هـ) . وقد طبع كتاب الحماسة لابى تمام بشرح التبريزى عدة طبعات آخرها بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد فـى مصر سنه ١٩٣٨ فى أربعة أجزاء . (عز الدين اسماعيل ، المصادر الادبيـة واللغوية فى التراث العربى ، (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٦) ، ص ٩٩) .
(٨) تنسب الحماسة البصرية الى صدر الدين على بن أبى الفرج بن الحسن البصرى ، (كان حيا سنه ٦٥٩ هـ) صدرت طبعتها الاولى فى بغداد سنه ١٩٧٢ بتحقيق عبد الله الجبورى ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

ومنها كتاب "المحب والمحبوب والمشموم والمشروب" للسرى الموصلى[1] ،أودعه من أشعار المحدثين محاسن ما وقع لهم فى الغزل والخمريات والزهديات .[2]
ومنها كتاب "نتائج القرائح فى مختار المراثى والمدائح" لابى سعيد[3] دال على ما اشتمل عليه ،وكذلك كتاب الطرديات لكشاجم .[4] وكتاب الاحاجى والالغاز للخطيرى[5] وكتاب التمثيل والمحاضرة للثعالبى .[6]

ومن[7] المجاميع الحاوية (لمحاسن)[8] أشعار المحدثين على اختلاف فنونها

---

(١) السرى الموصلى شاعر من أهل الموصل اسمه ابن احمد الكندى قال عنه ابن النديم "..مليح المأخذ كثير الافتنان فى التشبيهات والاوصاف ،طالب لها ولو لم يكن لها رواء ..لايحسن من العلوم غير قول الشعر" ولم يذكر تاريخ وفاته . ابن النديم ،الفهرست(بيروت : دار المعرفة ،١٩٧٨) ص ٢٤١ .

(٢) فى كلتا النسختين "الزهريات" والصواب ما أثبتناه ويقصد بالزهديات أشعار الزهد .

(٣) فى خ لابن سعيد ،والصواب ابو سعيد ،وهو الحسن بن الحسين بن عبد الله الشهير بأبى سعيد السكرى . ذكر ابن النديم انه جمع أشعار جماعة من الفحول وأورد ابن النديم اسماء عدد كبير منهم ،المرجع السابق ،ص ١١٧ .

(٤) فى ط كاشم ،والصحيح كشاجم وهو محمود بن الحسين بن السندى (ت ٣٦٠هـ) فارسى الاصل ،عاش فى ايام ابى الهيجاء والد سيف الدولة الحمدانى ومدحه ذكر الزركلى له كتابا مطبوعا اسمه "المصايد والمطارد" لعله هو المقصود هنا . الاعلام للزركلى ،ج ٧ ،ص ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٥) لم نعثر على كتاب بهذا الاسم .

(٦) الثعالبى هو عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى (ت ٤٢٩هـ) من علماء اللغة المشهورين ،وصحة اسم الكتاب التمثيل والمحاضرة وليس التمثيل كما فى الاصل . أحمد تيمور ،فهرس الخزانه التيمورية ،ج ٣ (القاهرة : دار الكتب المصريه ،١٩٤٨) ص ٥٢ .

(٧) فى ط ومنها .

(٨) ساقطة من ط .

زهر الرياض لابن دريا س [1] والتذكرة للامين المجلى [2] والحدائق لابى فرج [3] ٠ والذخيره لابن بسام [4].

وكتب التواريخ ينتفع بها فى الاطلاع على أخبار الملوك والعلماء ٠ والاعيان وحوادث الحدثان فى الماضى من الزمان ،وفى ذلك ترويح للخواطر [5] ٠ وعبر لأولى البصائر ٠ وأضبط التواريخ فى زماننا ،الذى جمعه ابن الاثير الجزرى [6] ٠ وقد جمع فى بعض الكتب بين عيون الاخبار ،ومستحسنات الاشعار فجاءت [7] حسنه التأليف كالتذكره الحمدونية [8] ،وكتاب ريحانه الادب لابن سعيد [9] ،والعقد لابن عبد ربه [10] ، وفصل الخطاب للتيفاشى [11] ،ونثر الدر للآبى [12] ٠ ونحوها ٠

---

(١) لم أعثر على كتاب بهذا الاسم الا ما رواه ابن خلكان (م٢ ،ص ٣٨٢) اثناء ترجمته لابن الدهان النحوى البغدادى (ت٥٦٩ هـ) لن أن له كتابا اسمه " زهر الرياض فى سبعة مجلدات ولم يذكر موضوعه ٠

(٢) عثرنا على كتب تراثية كثيره باسم التذكره ولكنها ليست فى مجال الادب ورواية الشعر بل معظمها فى الفقه ٠ ولم نجد اثرا لمؤلف بهذا الاسم فيما اتيح لنا من مصادر

(٣) لم نعثر على كتاب بهذا الاسم ٠

(٤) على بن بسام الشنترينى الاندلسى ،من الكتاب الوزراء (ت٥٤٢ هـ) وكتاب " الذخيره فى محاسن أهل الجزيرة " يضم ١٥٤ ترجمه للاعيان والمشاهير ،يقع فى ثمانية مجلدات طبع منها ثلاثة "الاعلام للزركلى ،ج ٤ ،ص ٢٦٦ ٠

(٥) فى ط الخواطر ٠

(٦) أبناء الاثير ثلاثة ،والمقصود هنا على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الاثير الجزرى (المؤرخ) ت ٦٣٠ هـ ٠ واسم كتابه "الكامل فى التاريخ" ، طبع فى لندن فى ١٢ جزءا ٠ وأعيد طبعة مرارا ٠
راجع أحمد تيمور ،مرجع سابق ،ص ٨

(٧) فى خ فجاءت ٠

(٨) ذكر ابن خلكان هذا الكتاب وأثنى عليه ثناء كبيرا (م٤ ص ٣٨٠) وابن حمدون وهو ابو المعالى محمد بن ابى سعيد الحسن بن حمدون الملقب بكافى الكفاة بهاء الدين البغدادى (ت ٥٦٢ هـ) ٠

(٩) لم نعثر على كتاب بهذا الاسم ٠

(١٠) اسم الكتاب : العقد الفريد واحمد بن عبد ربه من اشهر شعراء المغرب (ت ٣٢٨ هـ) وهذا الكتاب نشره احمد امين وآخرون سنه ١٩٤٠ ، القاهرة ،انظر : بروكلمان ج ٣ ،ص ١٤٠ ٠

وأما كتب العلوم فانها لا تحصى كثيرة لكثرة العلوم وتفننها واختلاف أغراض العلماء فى الوضع والتأليف ولكن تنحصر من جهة المقدار فى ثلاثة أصناف : مختصره (لفظها)[1] أوجز من معناها وهذه تجعل تذاكر[2] لرؤس المسائل ينتفع بها المنتهى للاستحضار وربما أفادت بعض المبتدئين الاذكياء لسرعة هجومهم على المعانى من العبارات الدقيقة .(*)

ومبسوطه تقابل المختصره ،وينتفع بها للمطالعة ،ومتوسطه لفظها بازاء معناها ونفعها عام ،وسنذكر من هذه الاقسام عند كل علم ما هو مشهور ومعتبر عند أهله .

والمصنفون المعتبره تصانيفهم فريقان : الأول من له فى العلم ملكة تامه ودربة كافية وتجارب وثيقة وحدس صائب واستحضار قريب فتصانيفهم عن قوة تبصره ونفاذ فكر و سداد رأى تجمع[3] الى تحرر المعانى تهذيب الالفاظ وهذه لا يستغنى عنها أحد من العلماء ، فأن نتائج الافكار (لآل)[4] لا تقف عند (كل)[5] حد ،بل لكل عالم ومتعلم منها حظ وهؤلاء أحسنوا الى الناس كما احسن الله اليهم زكاة عن علومهم لبقاء الذكر فى الدنيا وجزيل الاجر فى الاخرى .

الثانى من له ذهن ثاقب وعبارة طلقة ووقعت اليه كتب جيدة جمة الفوائد لكنها غير رائعة فى التأليف (و)[6] النظم فاستخرج دررها ،وأحسن تنفيدها[7] ونظمها ونظمها وهذه[8] ينتفع بها المبتدئون والمتوسطون وهؤلات مشكورون على ذلك شكر

---

(١) ساقطة من ط .
(٢) فى ط تذكرة .
(*) المصنف يتحدث هنا عن الكتب التى تشبه الفهارس العامة أو الموسوعات وهو لون من التأليف عرفه العرب منذ فتره مبكرة من تاريخهم . ويمكن أن ينضوى تحت لوائها هذا المخطوط نفسه .
(٣) فى ط يجمع .
(٤) لآلئ جمع لؤلؤة وهذه الكلمة ساقطة من خ .
(٥) ساقطة من خ .
(٦) ساقطة من ط .
(٧) فى ط : نضدها .
(٨) فى ط : وبهذه .

الله سعيهم .

السادس(*) أن يقرأ على(١) شيخ مرشد أمين ناصح ، ولا يستبد طالب (العلم)(٢) بنفسه اتكالا على ذهنه فالعلم في الصدور لا في السطور ، وهذا الرئيس أبو على ابن سينا (٣) مع جلاله قدره ومكانته(٤) من الذكاء والحذق لما اتكل على نفسه وثوقا بذهنه وسلم من سوء الفهم ، لم يسلم من التصحيف .

ومن شأن الاستاذ الكامل أن يرتب للطالب(٥) الترتيب الخاص بذلك العلم ويؤدبه بآدابه وأن يقصد افهام المبتدئ تصور المسائل وأحكامها فقط ، وأن يثبتها بالادلة ان كان العلم مما يحتج عليه عند من يستحضر المقدمات .

وأما ايراد الشبه ان كانت ، وحلها فالى المتوسطين المحققين .(**)

السابع : أن يذاكر به الاقران والانظار(٦) طلبا للتحقيق والمعاونة لا المغالبة والمكابرة(٧) ، بل غرضه أن يستفيد ويفيد .

(*) بعد هذا الاستطراد الطويل يعود المصنف الى تعداد شروط العلم والتعلم التي ذكر انها اثنا عشر شرطا ثم استرسل في الشرط الخامس منها على النحو الذي مر .

(١) في ط : عن .

(٢) ساقطة من خ .

(٣) هو ابو على الحسين بن عبد الله بن على بن سينا (ت ٤٢٣هـ) من أشهر الاطباء والفلاسفة العرب له ترجمه مستفيضه في عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي اصيبعة نشر دار مكتبة الحياة ببيروت بتحقيق د . نزار رضا ، ص ص ٤٣٧ _ ٤٥٩ ، د . ت .

(٤) في ط : ومكانه .

(٥) في ط : الطالب .

(**) يفرق المصنف هنا بين تعليم المبتدئين وتعليم المتقدمين . ويرى ضرورة أن يكون المنهج المختار للتدريس يتلاءم مع قدرة المتعلم العقلية . ومثال النوع الاول : الرياضيات ، ومثال النوع الثاني : علم الكلام .

(٦) في خ : الانصار . ومن الجائز أن يكون لفظ "الانظار" الوارد في : ط بمعنى النظراء جمعا غير قياسي لنظير بمعنى شبيه وند .

(٧) في خ : المكاثرة . والمكابرة هنا أقرب الى المقصود .

الثامن : انه اذا حصل علما ما وصار أمانه فى عنقه لا يضيعة باهماله أو كتمانـــه عن مستحقه ،فقد جاء عن خير البشر : " ومن علم علما نافعا وكتمه ألجمه الله يوم القيامة باجحام من نار "(١) وأن لا يواصله الى غير مستحقه فقد جاء فى كلام النبوة القديمة " لا تعلقوا الدر فى أعناق الخنازير " أى لا تؤتو العلوم غير أهلها .

وأن يثبت فى الكتب لمن يأتى بعده ما عثر عليه بفكره واستنبطه بممارسته وتجاربه مما لم يسبق اليه كما فعل من قبله فمواهب الله تعالى لا تقف عند حد وأن لا يسيء الظن بالعلم وأهله بفعله مالا يليق بالعلماء فما اقبح التخليط بالاطباء .(٢)

التاسع : أن لا يعتقد فى علم انه حصل منه على مقدار لايمكن الزيادة عليه فذلك طيش يوجب الحرمان نعوذ بالله منه ،فقد قال سيد العلماء وخاتم الانبياء(٣) " لا بورك (لى)(٤) فى صبيحة لا أزداد فيها علماء لما أدبه ربه بقوله تعالى : " وقل رب زدنى علما "(٥) ،وقوله تعالى : " وفوق كل ذى علم عليم "(٦)

العاشر : أن يعلم أن لكل علم حدا(٧) لا يتعداه فلا يتجاوز ذلك الحد كما يقصد اقامة البراهين على علم النحو ولا يقصر(٨) أيضا بنفسه عن حده فلا يقنع بالجدل(٩) فى علم الهيبه .

---

(١) هذا الحديث ورد فى احياء علوم الدين للغزالى ، (بيروت: دار المعرفة) جـ ١، ص ١٠ ،مسندا الى أبى داود والترمذى وابن ماجه وابن حيان والحاكم .
(٢) يضرب المصنف تخليط الاطباء مثلا لاساءة استخدام العلم ،ويقصد بتخليط الاطباء أن يفتوا بغير علم فيصفوا دواء لداء لايكون مناسبا له ،وقد سبق ان استشهدنا فى الدراسة ببيتين من الشعر للمصنف يهجو فيهما مثل هذا العمل .
(٣) لم نجد سندا لهذا الحديث .
(٤) ساقطة من ط .
(٥) سورة طه ،آية ١١٤ .
(٦) سورة يوسف ،ايه ٧٦ .
(٧) تنوين الفتح ساقطة من ط .
(٨) فى ط : "يقصد"
(٩) فى ط : "لايقصر بنفسه أيضا" .

الحادي عشر : أن لا يدخل علماء في علم لا في تعليم ولا مناظره فأن ذلك مشوش وكثير ما غلط فاضل الاطباء جالينوس بهذا السبيل .[1]

الثاني عشر : أن يراعي حق استاذه في التعليم فانه أب ولقد سئل الاسكندر عن تعظيمه[2] معلمه أكثر من والده فقال : وهذا[3] أخرجني الى دار الفناء ومعلمي دلني على دار البقاء والرفيق في التعلم أخ والتلميذ ولد ولكل حق تجب رعايته .

وعلم أن على كل خير مانعا فعلى العلم موانع و (عن)[4] الاشتغال به عوائق منها الوثوق بالزمان (المستقبل)[5] وانفساح الامل في ذلك ولا يعلم الانسان أنه ان[6] انتهز الفرصة والا فاتته وليس لفواتها قضاء فأن أسباب الدنيا تكاد تتزايد على اللحظات من ضروريات وغيرها وكلها شواغل والامور التي بمجموعها[7] يتم التحصيل انما تقع على سبيل البحث واذا تولت فهيهات عود مثلها ومنها الوثوق بالذكاء . وأنه سيحصل الكثير من العلم في القليل من الزمان .

متى شاء فتخترمه الشواغل والموانع وكثير من الاذكياء فأنه العلم بهذا السبب ومنها الانتقال من علم[8] آخر قبل أن يحصل منه قدرا يعتد به[9] أو من كتاب الى كتاب قبل ختمه وذلك هدم لما بني ويحز مثله . ومنها طلب المال أو[10] الجاه ، أو الركون[11]) الى اللذات البهيمية . فالعلم أعز أن ينال مع غيره أو على سبيل التبعية بل اذا اعطيت العلم كلك أعطاك العلم بعضه . ومنها ضيق الحال وعدم المعونة على

---

(١) في خ : بهذا السبب
(٢) في خ : استاذ التعليم .
(٣) في ط : " تعظيم "
(٤) في ط " أخرجني " وهو خطأ كتابي .
(٥) في خ : وعلى
(٦) ساقطه من ط .
(٧) في ط " اذا "
(٨) في ط " يتم بمجموعها " .
(٩) في ط " من علم الى آخر "
(١٠) في ط " ومن كتاب " .
(١١) في ط " والجاه .

على الاشتغال وضها اقبال الدنيا وتقلد [١] الاعمال وولاية المناصب ·

واعلم أن للعلم [٢] عرفا ينم [٣] على صاحبه ونورا يرشد اليه وضياء يشرق [٤] عليه فحامل المسك لا يخفى روائحه · معظم فى [٥] النفوس الخيره محبب [٦] الى العقلاء وجيه الوجه تتلقى القلوب أقواله وأفعاله بالقبول ومن لم يظهر [٧] عليه أمارات علمه فهو ذو بطانه لا صاحب اخلاص ·

القول فى حصر العلوم [٨]

كل علم فأما أن يكون مقصودا لذاته أو لا والاول العلوم الكمية والمراد بالحكمة ههنا استكمال النفس الناطقة قوتيها النظرية والعملية بحسب الطاقة الانسانية ·

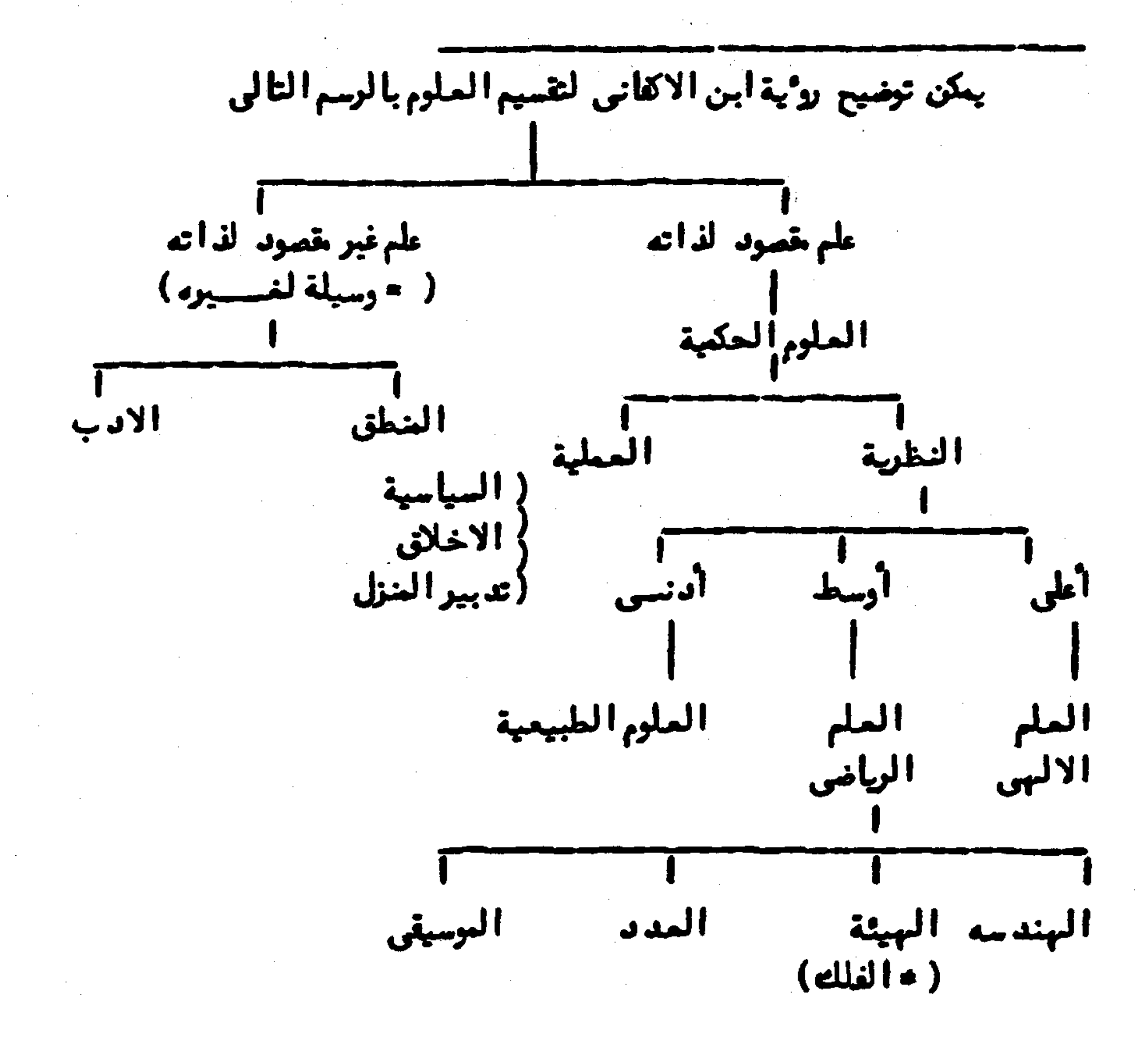
والاول [٩] يكون بحصول الاعتقادات اليقينية فى معرفة الموجودات وأحوالها ·

والثانى [١٠] يكون بتزكية النفس باقتنائها الفضائل واجتنابها الرذائل · وأما الثانى وهو ما لا يكون مقصودا لذاته بل آله لغيره فأما للمعانى وهو علم المنطق لما يتوصل به الى المعانى من اللفظ والخط وهو علم الادب · والعلوم الحكمية النظرية تنقسم الى أعلى وهو العلم الالهى وأدنى وهو العلم الطبيعى وأوسط وهو العلم الرياضى وذلك لان نظرة ان كان فى أمور مجرده عن المادة الجسمية وعلائقها فى العقل وفى الحس فهو العلم الالهى ·

---

(١) فى ط " وتقلب " ·
(٢) فى خ : العلم · وهو خطأ لغوى ·
(٣) فى ط " يتم به "
(٤) فى ط " يدل "
(٥) فى ط " للنفوس "
(٦) فى ط " محب "
(٧) فى ط " تظهر "
(٨) فى ط " العلم "
٩، ١٠ الاول والثانى هنا يقصد المصنف بهما جانبى القوة النفسية التى أشار اليها على أنها الهدف المقصود بذاته من العلم ، وبتعبير أوضح هما العلوم العمليه ، (= الجانب الاول) والعلوم النظريه (= الجانب الثانى) ·

وان كان فى أمور مادية فى الذهن وفى الخارج فهو العلم الطبيعى وان كـــان فى أمور يصح تجردها عن الماديات فى الذهن فقط فهو العلم الرياضى وعكس هذا القسم ممتنع لاستحالة تجرد شىء فى الخارج دون الذهن وتنحصر العلوم الرياضية فى أربعـــة علوم الهندسة والهيئة والعدد والموسيقى لان نظرة أما أن يكون فيما يمكن أن يفـــرض فيه أجزاء تتلاقـى على حد مشترك بينهمـا أولا وكل واحد منها أما قار لذات أولا ، والاول الهندسة والثانى الهيئة والثالث العدد والرابع الموسيقـى والعلوم الحكميـــة العملية تنقسم الى السياســة والاخلاق وتدبير المنزل وذلك لان اعتبـاره أما للامـــور العامة ،فعلم السياسة أو الامور الخاصيه فأما بالشخص وحده ، فعلم الاخلاق أو مع خاصتـه



فعلم تدبير المنزل فهذه العلوم الاصلية وما عداها فهي فرعية فلنذكر هذه العلوم وفروعها على التفصيل بحسب غرض هذه الرسالة ونقدم مقدمة يتبين بها العلم الاصلي والعلم الفرعي وغير ذلك فنقول تبين في كتاب البرهان .

ان كل علم حقيقي فلابد له من موضوع ومبادئ ومسائل وغاية ، فالموضوع هو الشئ الذي يبحث في ذلك العلم عن أحواله التي تعرض له اما لذاته أو لما يشتمل عليه أو لما يساويه ومتى كان الموضوع كليا فالعلم الناظر فيه أصلي ومتى كان جزئيا فالعلم الناظر فيه فرعي كالطب بالنسبة الى العلم الطبيعي فأن موضوع الطب بدن الانسان من جهة ما يصح ويمرض وهو مندرج تحت موضوع العلم الطبيعي لانه ينظر في الاجسام مطلقا ولو أخفها ونحن في هذه الرسالة نذكر موضوعات العلوم الكلية لان العلوم انما تتمايز بموضوعاتها ويستغني بذكرها عن الموضوعات الجزئية . وأما المبادئ فهي اما تصورات واما تصديقات لانحصار العلم فيهما والتصورات هي الحدود التي تذكر للموضوع وأجزائه ان كان ذا اجزاء ولا عراضه اللاحقة له . والتصديقات منها واجبه القبول كالاوليات والاستبصاريات وتسمى أوضاعا ومنها غير واجبه القبول لكنها تتسلم في الوقت ويبرهن عليها فيما بعد أو في علم آخر وتسمى مصادرات وأما المسائل فهي مطالب العلم المختصه به المبنية فيه وأما الغاية فهو الشئ الذي يقصد ذلك العلم لاجله وهي أبدا مقدمة في النظر متأخرة في الحصول وهذا معنى قولهم أول الفكر آخر العمل .

مصادر البحث ومراجعــه

أولا : المصادر :

١ـ القرآن الكريم .

٢ـ ابن الاكفانى ، ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد ، مخطوط بدار الكتب المصريــة برقم ٢٦٦ ، مكتبات

٣ـ ابن أبى أصيبعة ، عيون الانباء فى طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيـــروت دار مكتبة الحياة ، د . ت .

٤ـ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ ٩ ، القاهـــرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، د . ت .

٥ـ ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنه فى أعيان المائة الثامنه ، جـ ٣ ، (بيروت : دار الجيل ، د . ت)

٦ـ ابن خلكـــان ، وفيات الاعيان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت : دار صـــادر ١٩٦٩ (٨ مجلدات) .

٧ـ ابن النديم ، الفهرست ، بيروت : دار المعرفة ، ١٩٧٨ .

٨ـ حاجى خليفه ، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، (بغداد : مكتبة المثنى ، د . ت) .

٩ـ شمس الدين الذهبى ، تاريخ دول الاسلام ، جـ ١ ، تحقيق فهيم محمد شلتـــوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، (القاهرة : الهيئة العامة للكتـــاب ، ١٩٧٤) .

١٠ـ الشوكانى ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، جـ ٢ ، (بيـروت : دار المعرفة ، د . ت) .

١١ـ الغزالـــــى ، احياء علوم الدين ، جـ ١ ، بيروت : دار المعرفة ، د . ت .

١٢ـ المقريـــزى ، الخطط ، بيروت : دار صادر ، د . ت .

١٣ـ ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، بيروت : دار احياء التراث العربى ، ١٩٧٩ ، الجزء الثالث .

ثانيا : المراجع

١ـ أحمد تيمور ،فهرس الخزانه التيمورية ،جـ ٣ ،القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٤٨م.

٢ـ أحمد شلبى ، موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ،الجزء الخامس ط ٧, (القاهرة : مكتبة النهضة المصريه ،١٩٨٦) .

٣ـ خير الدين الزركلى ،الاعلام ،جـ ٥ ،ط ٦ ،بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٤م.

٤ـ شوقى ضيف ، تاريخ الادب العربى (٦) عصر الدول والامارات مصر والشام ، القاهرة : دار المعارف ،١٩٨٤

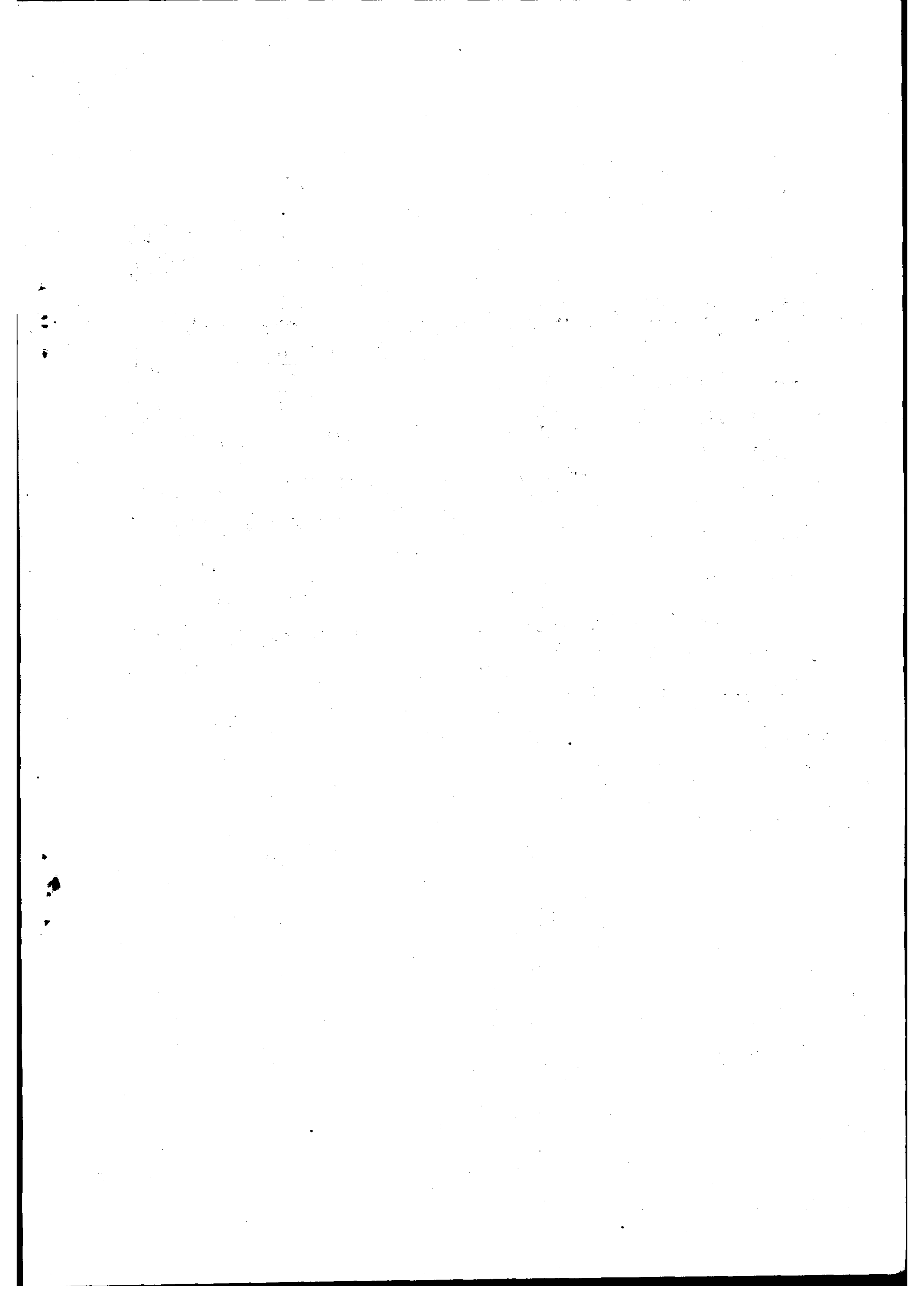
٥ـ عزالدين اسماعيل ،المصادر الادبية واللغوية فى التراث العربى ، القاهرة دار النهضة العربية ،١٩٧٦ .

٦ـ قاسم عبدة قاسم ،أسواق مصر فى عصر سلاطين المماليك .

٧ـ محمد زغلول سلام ،الادب فى العصر المملوكى ،القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧١.

٨ـ محمود رزق سليم ،عصر سلاطين المماليك ،م ٦ ،القاهرة : مكتبة الاداب بالجماميز ،١٩٦٢.

٩ـ محمود الطناحى ،الموجز فى مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم القاهرة : مكتبة الخانجى ،١٩٨٥م.



(تنبيه)

ألقت إلى يد الصدفة هذا الكتاب المستطاب من كتب مدرسة اللغات الشرقية بباريس . عثرت به في مكتبتها العامرة ثم تصفحته فاذا به قد جمع أشتات الفوائد وأبان عن أصول العلوم وفروعها بكيفية لم نعهدها قط في المؤلفات العربية . فقد عزز الكلام على كل علم بذكر ما صنف فيه من الكتب طوالها ومتوسطها ومختصرها وشفع هذا بذكر مشاهير العلماء والمؤلفين في كل فن الى غير ذلك مما جعله في بابه فريداً

وقد جاء في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ما نصه

﴿ ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد للشيخ شمس الدين ﴾
﴿ محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري الاكفاني السخاوي ﴾
﴿ المتوفى سنة ٧٤٩ . مختصر أوله الحمد لله الذي خلق الانسان ﴾
﴿ وفضله الخ ذكر فيه أنواع العلوم وأصنافها وهو مأخذ مفتاح ﴾
﴿ السعادة لطاشكبري زاده . وجملة ما فيه ستون علماً منها عشرة ﴾
﴿ أصلية سبعة نظرية وهي المنطق والالهي والطبيعي والرياضي ﴾
﴿ باقسامه وثلاثة عملية وهي السياسة والاخلاق وتدبير المنزل ﴾
﴿ وذكر في جملة العلوم أربعمائة تصانيف ﴾

وطاشكبري زاده المنوه عنه هو مولى احمد بن مصطفى وتوجد من كتابه نسخة بالمكتبة الخديوية . والى أسأل الله ان يوفقنا ما استطعنا لأحياء مآثر أسلافنا الصالحين (محمود ابو النصر)

صورة الغلاف الأخير للنسخة المطبوعة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق والاعانة

قال العبد الفقير الى الله تعالى الواحد البارى محمد بن ابراهيم
بن ساعد الانصارى الحمد لله الذى خلق الانسان وفضله
على ساير انواع الحيوان بالنطق والبيان والصلوة على رسوله
محمد سيد بنى عدنان وعلى اله ايمة الهدى ومصابيح الايمان

وبعد فان بنا حاجة الى تكميل نفوسنا البشرية فى قواها
النظرية والعملية اذ كان ذلك هو الوسيلة الى السعادة
الابدية ولما كان هذا انما يتم بالعلم بحقايق الاشيا على
ما هى عليه ليعتقد الحق ويفعل الخير وجب علينا ان نعلم
العلم المتكفل بتحقيق الحقايق وما هو اليه كالوسايل وما
يشتمل على بيان ما يجب ان يقصد من الفضايل ويجتنب من
الرذايل فاردت ان اذكر فى هذه الرسالة انواع العلوم
على التفصيل ليتبين منها هذا الغرض ويستفاد منها امور
اخر بالعرض الاول تشويق الانفس الزكية الى الكمالات
الانسانية فانه لا شى اشنع ولا اقبح بالانسان مع ما فضله
الله تعالى به من النطق ان يفوت تعلم الاداب والعلوم
والصنايع [illegible] نفسه [illegible] وهو

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

كتاب إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد

تصنيف الإمام العالم العلامة

أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد

الأنصاري الشهير بابن الأكفاني

تغمده الله تعالى برحمته

صورة غلاف المخطوط

كتاب

إرشاد القاصد الى أسنى المقاصد

تأليف

الحكيم الفاضل

أوحد عصره وفريد دهره

محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري

عفا الله عنه بمنه وكرمه

آمين

المتوفى ٧٤٩ هـ

(طبع بمطبعة الموسوعات بباب الشعرية بمصر)

« سنة ١٣١٨ هـ — ١٩٠٠ م »

صورة غلاف النسخة المطبوعة

ستون علما منها عشرة اصلية سبعة نظرية وهي
المنطق والالهي والطبيعي والرياضي وثلثة عمليه
وهي السياسة والاخلاق وتدبير المنزل وذكر
في جملة العلوم اربعماية تصنيف وفي المقدمة
نحو عشرين تصنيفا والله الموفق للصواب
وكان الفراغ من تعليقها في يوم الخميس المبارك في الحرم
الشريف تجاه الكعبة الشريفة وهو اليوم الثاني من
شهر رمضان المعظم قدره وحرمته سنه سبع وتسعين
وثمان مايه من نسخة مقابلة على مصنفها تاريخها
كمل نسخها في العشر الاوسط من شهر القعدة سنة
اربع وثلثين وسبعماية احسن الله تعالى تقضيها

وعلقها لنفسه ولمن شا الله تعالى من بعده العبد
الفقير الحقير المعترف بالتقصير الراجي
عفو ربه القدير احمد بن حسين
العباسي حامدا ومصليا
ومسلما

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط